المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثامن بعد المائة

١ فبراير سنة ١٩٤٦ ٢٨ صفر سنة ١٣٦٥

حكمة تموت

وعلم يطويه التراب

سنوات في صحبة العالم أ . فيشر

عرفت الدكتور أ . فيشر شيخاً جاوز الخامسة والسَّبعين عندما أختير لعضوية « مجمع اللغة العربية الملكي » (١) ، وكان ذلك في شهر فبراير من سنة ١٩٣٤ . عرفته أشيب الشعر قصير القوام ممتلىء الجسم صحيح العقل قوي البنية ، إذا صافحك شد على يدك بما ينم عن قوة وثقة بالنفس ، حتى ان فقيدنا المرحوم الشيخ عبد العزيز البشري كان يتحاشى مصافحته لأنه على ما كان يقول ، رحمهما الله ، يخيل إليه أن دكتور فيشر سيأخذ يده فيذهب بهما إلى غير رجعة .

كان في كلامه ثقل يجعل تفاهمك معه بلغة في اللغات الأوربِّية أهون عليك من التفاهم معه باللغة العربية التي أحبها وخدمها وأكبَّ على درسها الليالي الطوال . ذلك بأن نطق العربية غير هين حتى على اللذين هم منطلقة ألسنتهم من الفرنجة ، فما بالك بمن يثقل عليه إن يبين حتى بلغته الألمانية ؟

---

(١) صدر بعد ذلك مرسوم سمي به المجمع « مجمع فؤاد الاول للغة العربية »

لا أعرف من ماضي دكتور فيشر شيئاً وإنما أعلم انه علم من أعلام المستشرقين ، نال من التشاريف في بلاده ما نمت عليه ألقاب كان يحملها ولا يفاخر بها ، كأنه يقول في لغة صامتة ، إن عملي أعظم من جميع التشاريف . ولم يعد علمي به أن يكون تأييداً كاملاً لتلك اللغة الصامتة .

***

من الأغراض التي نصّ عليها مرسوم انشاء مجمع اللغة العربية الملكي ان يعمل المجمع على إنشاء معجم لغوي تاريخي يجمع شتات الألفاظ اللغوية أدبية وعلمية وشعرية ، ويثبتها بشواهدها ليكون ذلك ديواناً كاملاً للغة العرب . سار المجمع في هذا على خطا غيرنا من الأمم . فان الانجليز قد أنشأوا للغتهم معجماً كاملاً على القواعد التاريخية هو معجم « اكسفورد الجديد » واقعاً في ست وعشرين مجلّد مطبوعة بقطع كبير وبأصغر مقاس في حروف المطابع . ويقول القائمون على هذا المعجم انهم لو أرادوا أن يثبتوا جميع الشواهد التي كان من الواجب اثباتها ، لتضاعف ، حجم ذلك المعجم ثلاثة أضعاف أو أربعة . وتاريخ الانجليزية لا يتجاوز ستة قرون . فما بالك بمعجم يحاول أن يلم شتات العربية وتاريخها ١٥ قرناً من الزمان ، ومن آثارها ما هو مطبوع وما هو مخطوط ، بل ان هذه الآثار موزعة في رقعة من الأرض مساحتها ما بين بحر الظلمات غرباً وحدود الصين شرقاً ، وبحر الشمال في أوربا الى أواسط افريقية جنوباً ؟ عمل شاق تخر أمامه أقسى الارادات .

بدأ دكتور فيشر يعمل في وضع قواعد هذا المعجم منذ أن كان شاباً ، واستمرّ يعمل حتى اكتهل ثم شاب ، وقصر العمل في ذلك على ثلاثة القرون الأولى ، وربما تعدّاها الى أواسط القرن الرابع الهجري ، ليقتصر معجمه على عهد الفصاحة العربية ، وأملاً في أن يمتد به العمر ليرى ثمرة عمله ذلك . فلما انتخب عضواً في المجمع اللغوي المصري ، لاحت له فرصة فذّة في أن يعهد اليه المجمع بنقل جزازاته الى مصر ويعمل فيها بنفسه ويقوم المجمع بنشر معجمه على أن يكون عملاً من الأعمال الخاصة يؤلفه صاحبه ويقوم على طبعه واصلاح تجاربه ويحمل مسئولية ذلك العمل كاملة ، ليكون هذا العمل أساساً يبني عليه المجمع عمله في اتمام المعجم اللغوي التاريخي من حيث وقف عمل دكتور فيشر الى عصرنا هذا .

ذلك على الأقل ما انتهى اليه رأى المجمع إذ ذاك في معجم فيشر ، وزاول ذلك الأستاذ عمله الشاق فكان يقضي في مصر سبعة أو ثمانية أشهر ، منكفئاً على العمل صباح مساء وفي همة الشباب وارادة الفتوة ، وظلَّ على ذلك حتى عاجلته الحرب العالمية وهو في ألمانيا فانقطعت أخباره وانقضى أجله فمات رحمه الله ، وقد ترك في مصر جزءاً عظيماً من جزازاته العلمية . أما البقية فلا يعلم عنها شيء ، وقد يحتمل أن تكون قد بددتها قنابل الطائرات أو دفنت في الأرض حيث كان يعلم صاحبها وحده وقد تظل هنالك حتى تتآكل وتفنى . حكمة تموت ، وعلم يطويه التراب .

من الذكريات التي تساورني دائماً موقف أستاذنا احمد لطفي السيد باشا ، وكان مديراً للجامعة المصرية . فقد علم ان المجمع يتوانى ويتقاعس عن تشجيع دكتور فيشر على نقل جزازاته والعمل على تأليف معجمه في مصر ، فأبى عليه حبه للعلم وحدبه على اللغة العربية إلاَّ أن يتصل بالمجمع ليقول للمرحوم توفيق رفعت باشا رئيسه ، إذا رفض المجمع معجم فيشر فان الجامعة على استعداد لأن تنفق عليه وتمهد الطريق لنشره . فأصبح المجمع أمام أمر واقع . وفاز فيشر بتأييد المجمع ... مع التحفظات .

* * *

ذكرى ثانية . ففي جلسة من الجلسات التي أخذ المجمع يناقش فيها أمر التعقيب على عمل دكتور فيشر ، أدَّت المناقشة الى تكليف لجنة المعجم بأن تضع قائمة بالكتب التي ينبغي أن يحصل عليها المجمع لتقرأ وتستخرج مفرداتها وتدوّن شواهدها ، وظلت اللجنة تعمل أسابيع حتى أتمت تلك القائمة ، وحدّدت جلسة للنظر فيها ، ومضى موظف من موظفي المجمع يتلو أسماء الكتب والأعضاء ينصتون حتى اذا عنّ لأحدهم اسم كتاب أضيف الى القائمة . كل هذا ودكتور فيشر صامت منصت حتى انتهى الأمر بموافقة المجمع على القائمة ، وكاد الأمر يتم على ذلك ، ويعلن الرئيس الانتقال الى غير ذلك من أعمال المجمع ، عندها وقف دكتور فيشر ، فاتجهت اليه الأنظار ، وراح يقول — « أعجب كيف ان هذه القائمة لم تضم القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف » . وجلس في سكون أشبه بسكون الثقة

والاطمئنان ، وصمت معه أعضاء المجمع برهة خيّل إليّ فيها اننا نكاد نسمع دبيب النمل .

***

ذكرى ثالثة . قابلته ذات صباح يغذ السير الى دار المجمع في عجلة ، فصافحته وهنأته بسلامة الوصول ، وكان قد عاد من ألمانيا بعد أن أوصى بارسال جزازاته الى مصر . فسألته : هل أحضرت أوراقك ؟ فأطرق حتى خيّل إليّ أن نكبة وقعت به أو حدثاً ألمّ به ، ثم حدّق فيَّ وكأن جميع الدم الذي يتدفق في شرايينه قد تحوّل فجاءة الى وجهه وأجابني بالانجليزية : انها الآن فوق أمواج البحر المتوسط . قال ذلك وهو يصرّ بأسنانه ، كأنما يريد أن يقول اني أقامر بعمل خمسين سنة ، فماذا يكون من أمري لو أن البحر ابتلع ذلك الجهد واستقرّ في أحشائه ؟ ولو انه قرأ الغيب إذن لعلم ان في ذلك الغيب ما يبدّد أحلامه. جلت قدرة الله . تحيينا بالأمل وتميتنا بالأمل .

ثم أخذ يناجي نفسه وأنا أسايره الى حجرة عمله فسمعته يقول : أريد أن أركز هذا العمل على أساس ثابت ان لم يتح لي أن أتمه قبل أن تمتد إليَّ تلك اليد الخفية وتختطفني . لقد امتدّت اليه تلك اليد فانتزعته من عالم الأحياء ، بل امتدت الى جزازاته التي كانت في حياته كأنها جزءًا في نفسه ، فتركتها رهن الصناديق المقفلة ، وبين أجزائها صدع عظيم هي أمواج البحر المتوسط . ومن ذا الذي يدري ، فلعله قد عالج سكرات الموت وأمواج ذلك البحر ماثلة لخياله .

***

لئن لم يكن قد هيىء لذلك الرجل الفذ أن يتم هذه الخدمة الممتازة للغة العرب ، وهو عنها أجنبي ، فلا أقل من يهب العالم العربي كله ومصر تقود خطاه ، إلى اتمام ذلك العمل الخالد الذي يجمع شتات لغتنا المجيدة في مجلدات تضم إذا ما خرجت إلى الوجود ، روح الأعصر الماضية ، ويطبع على صفحة الوجود خاتماً جديداً هو خاتم العربية ، تهب بعد الرقاد ، وتتحرّك بعد الهمود .

اسماعيل مظهر

أساس القانون الدولي

طبيعته وأساليبه

— ٢ —

لا يفوتنا هنا ملحظ هام يلخص في أن شتى الدراسات الموكولة تتقصى منازع التشريع الحديث، وهي بسبيل جوْب المناشىء الأولى لقاعدة القانون ، لاتني تصدر في تأملها الفلسفي عن معين واحـد ، هو التساؤل عن العوامل الأصيلة أو العارضة التي حدَت بالانسان إلى أن يقبل الاحتكام إلى القاعدة القانونية ويأتم بأمرها ونهيها في حياته ، سواء أكانت عُرْفاً أم عادةً أم ديناً أم تشريعاً مسنوناً .

وهكذا ما زال من وَكْـد الدراسات التي تفلسف الفقه، أن تَهتدي إلى العلة الحقيقية في إطاعة الانسان لقواعد القانون وامتثاله لسلطانه على اتساع مدى أوامره ونواهيه وإزدياد أعبائه وتكاليفه باتساع مناحي النشاط الانساني وتعدد جوانبه ، بفعل العديد المتواصل من عوامل النموّ والتطوُّر التي تحيط به.

ولعلَّ جواباً شافياً جامعاً يقنع الباحث السائل، لا يمكن أن نستمد من القانون في صوغه. فالقانون يبدأ حيث تنتهي منطقة هـذا الجدل الفقهي الزاخر ولا ترسخ قواعده إلاّ على يابسة البداهة المحتومة التي تفرض سلطانه الملزم على الأفراد والجماعات فرضاً .

وما من شك في أن محيط التساؤل يستفيض ويمتـد ليشمل منطقتي القانونين الوطني والدولي في آن ، فهما على اختلاف الوظيفة والاختصاص مظهر مادي واحد الجوهر لارادة الانسان ، أو بالحري إرادة الحيـاة في صورة أنسب ، كما يصوِّرها له فكره ، على تفاوت نصيبه من مدى التطور المادي والأدبي في محيط بيئته ، وبما يتقاذفه من تيارات تأثره بغيرها من البيئات والمجتمعات .

على أن هذا التساؤل ينصب في منطقة القانون الدولي على وضع يناسبه عند تقصينا علة الالزام في مسنون قواعده ، وخاصة بعد أن لاحظنا مدى التفاوت في قيم العنـاصر المهيمنة على تشريعه ، بمقارنتها بتلك التي تهيمن على التشريع الوطني في الدولة .

فهنا حيث لا مصدر معترف به يسن على وجه الدوام قواعده الملزمة (١)، يتجه بحثنا إلى ما اصطلحنا على تسميته بالمعاهدات، سواء أكانت ثنائية أم متعددة الأطراف، لنستفسر أصولها وشرائط انعقادها المتفق عليها، لمعرفة السبب المباشر في صفة الالزام التي لها.

غير أن رجال القانون لا يتركوننا تستبد بنا الحيرة وتطول، فهم يصدموننا بجوابهم التقليدي المبهم، يلخصونه في أن المعاهدة عقد ينطوي بذاته على عنصر إلزامه، على وجه صريح أو ضمني، حاسبين أنهم بذلك قد فكوا العقدة وحسموا المشكل وجاءونا بفصل الخطاب!

وهو في الواقع جواب، ولكنه جواب على سؤال آخر غير سؤالنا الذي يحدّد نفسه بنفسه، وإن قصد به سائله إلى أمر معقد أو غير محدود.

فالسائل لا يعني بما سأل غير أن يعرف العلة في أن القانون الدولي، سواء أكان في صورة معاهدة أم اتفاق، ملزم، وهل صفة الالزام فيه مستمرة في كل الحالات، وباقية له على وجه الدوام؟

ومرة أخرى نقول إن جواباً مقنعاً على هذا السؤال لن نلتمسه في قواعد القانون الدولي نفسه، ولكننا واصلون إليه عن طريق دراستنا لكلا النظريتين الطبيعية والمادية، التي ترتئي كل منهما وجهاً في تعليل الصيغة الالزامية لقاعدة القانون، في نطاقيه: الخاص والعام.

فدعاة «اليوتوپيا» من أنصار المذهب الأخلاقي يؤمنون بأن المصدر الأول للقانون هو سلطان ثابت الحدود راسخ القيم يسمونه القانون الطبيعي، وهو في زعمهم لا يتغير بتغير الزمان والمكان، وإن تطورت هذه العقيدة في الأزمنة الأخيرة تحت ضغط من استحالة الظروف والملابسات، وما أحدثته من تغيير بعيد المدى في وجهات الحياة.

أما الفريق الثاني من دعاة المذهب المادي، فهم يردُّون إلى عنصر «القوة» شتى ظواهر الحياة في المجتمع. ومن ثمَّ بأن سلطان التشريع ما كان ليقدَّر له الوجود أصلاً لولا استناده إلى القوة التي يرون أن مظهرها الأوحد هو إرادة الدولة، ومن هذه الارادة، التي ترمز إلى القوة، تنبثق شتى ظواهر الحياة المدعّمة لكيان الدولة. وهؤلاء هم أنصار «المذهب الواقعي» أو دعاة الفلسفة الوضعية (٢).

ولما كانت المذاهب الفقهية التي تفلسف القانون في تطور دائم، فإن النظريات الميتافيزيقية الأولى التي خلفها لنا تراث القرنين السابع عشر والثامن عشر، لم تشف غليل المحدثين من

---

(١) إلى أن يحدد النظام العالمي الجديد بجلاء سلطان التشريع الدولي ومصادره.

(٢) Les Positivistes

أنصار النزعات الفلسفية الواقعية، بله المشايعين لمذهب « اليوتوپيا » ، من الميتافيزيقيين المعتدلين الذين لا يريدون أن يجانبوا حدود الواقع المعقول فيما يهتدون إليه من ضروب التعليل والتفسير لأركان الاجتماع البشري .

وهكذا لاحت في أفق الفقه العالمي قيم جديدة واستجدّت في ميادين التشريع نظريات بل أهداف جديدة . فالفيلسوف « بنتام » ينادي بمذهب المنفعة ويجعله أساس القاعدة القانونية غير مدافع . وفي عصر سيادة النزعة العقلية واستفحال شأنها ، نصب أنصارها العقل إلهاً يحكم بين الناس بالعدل ، ويبني للانسانية الشقية بعرام غرائزها، وعماية دوافعها، دعائم الحضارة العقلية التي تجوز بالانسان المعذب مفازة الشقاء المقيم الى أرض النعيم الموعود . على حين راح المتأخرون ، في عصر سيادة الجماهير، وبزوغ فجر الحقوق، والحريات الفردية، ينادون بفلسفة الواجب أو مذهب التضامن الاجتماعي بين الأفراد الذي هو الأساس الأول في كيان الدولة(١) . وذهب فريق ثالث الى تحكيم قيمة أخلاقية مبهمة الحدود والمعالم ، ونعتها بـ « الاحساس المطلق بالحق »(٢) . ومن قبلُ ، ذهب الفيلسوف « إسپينوزا » الى مذهب وسط زعمه حلاً موفقاً للمشكل الأبدي بين عالم المثال، وعالم الواقع في ميداني الأخلاق والقانون ، فقد قبل الفيلسوف فكرة القانون الطبيعي ، ولكن بعد أن جرّدها من جوهر معناها المثالي وجعلها منوطة بحق الأقوى .

وقد نزع بعض متأخري الوضعيين منزع إسپينوزا الفلسفي، ومال فريق آخر منهم الى تحكيم عامل التطور التاريخي ، وذهبت جماعة ثالثة ، فتأثرت بأحداث الانقلاب الصناعي في القرن الماضي ، وما كان من استطراد ذيوله السياسية الفضفاضة في هذا القرن ، إلى استهداء مبدأ التفسير الاقتصادي للقانون ، مما كان سبباً في اطراد نموّ الحركات الاجتماعية والنزعات الاشتراكية في عصرنا الحاضر وصبغها الاتجاه الحضاري بصبغتها .

ولن نخرج من معترك هذه النظريات الفلسفية الصاخبة بغير نتيجة واحدة ، هي أن هذا النزاع الجوهري سيظل قائماً بين أولئك الذين يرون أن القانون فرع أصيل من عالم الأخلاق والقيم ، وبين من ينظرون فيه باعتباره وسيلة أولية لتأكيد حق القوة ومناصرة جانب الأقوى والأمثل في عالمنا الأرضي .

(للبحث صلة) صلاح الدين الشريف

---

(١) راجع : Duguit, Traité de Droit Constitutionnel, i. p. 16.

(٢) راجع : (Krabbe, The Modern Idea of the State (Eng. trans. p. 110.,

بحث لغوي تاريخي

النهضة : THE RENAISSANCE

أصل اللفظ الاعجمي من اللاتينية (renascentia) ومعناها المولد او « الميلاد الجديد »

قصد بهذا الاصطلاح فى التاريخ ، حركة الانتقال فى اوربا من تقاليد القرون الوسطى الى الحياة الحديثة ، وبخاصة العصر الذي عاد الباحثون فيه الى الاكباب على درس الآداب القديمة وتفهم روحها . وقد بدأت هذه الحركة فى ايطاليا بعد أن بدأ بترك (Petrarch) وغيره من زعماء مذهب النشورية القائلين باحياء الثقافة القديمة (Humanism) والفنانون فى القرن الرابع عشر ، يتوفرون على درس الآداب القديمة ويحيون روائعها ، فاعتبروا رواد النهضة . وقد قويت هذه الحركة بعد أن هبط العلماء البوزنطيون (Byzantine Scholars) ايطاليا بعد سقوط القسطنطينية فى يد الاتراك العثمانيين سنة ١٤٥٣ ونقلوا معهم كل ما كان بين أيديهم من مخلفات الثقافة الاغريقية . وبلغت النهضة فى ايطاليا أرقى مراتبها فى أواخر القرن الخامس عشر . ولقد أيد هذه النهضة روح جديد تجلى في النزعة الى الكشف ، فاخترعت الطباعة وكشفت امريكا ودار السائحون بحراً حول افريقية

وقد اقترنت النهضة في المانيا بظهور ثورة الاصلاح الديني التى بدت في سنة ١٥١٧ . وظهر في انجلترا في اوائل القرن الخامس عشر ، وفي فرنسا في خلال حكمي لويس الثاني عشر (١٤٩٨ـ١٥١٥) وفرنسيس الاول (١٥١٥ـ١٥٤٧) رجال من أكبر الادباء الذين خلدت أسماؤهم في تاريخ النهضة الاوربية .

التغذية

في العهد الفرعوني

﴿ مقدمة عن الحالة الراهنة ﴾ غريبٌ حقًّا أن نتكلم اليوم عن حالة التغذية في العهد الفرعوني قبل أن نقوم ببحث حالة التغذية في العهد الحاضر . وكل ما عمل حديثاً كان بحثاً غذائيًّا متواضعاً بالقاهرة قبل الحرب مباشرة شمل ٧٦ أسرة يتراوح دخلها بين ثلاثة جنيهات مصرية ، واثنى عشر جنيهاً ، وكان متوسط عدد الأفراد في الأسرة خمسة ، ومتوسط القيمة السُّعرية الغذائية للشخص الواحد في اليوم ٢٠٠٠ (ألفي) سعر ، و٨٠ ٪ منها تتكوّن من الحبوب والبقول ، و ١٣ ٪ من دهون نباتية ، و ٧ ٪ من أطعمة حيوانية كاللحوم واللبن ومنتوجاته والبيض والسمك . وكانت قلة اللبن والخضروات والفاكهة ملحوظة في أغذيتهم ، ووجد الكثيرون بين الأطفال مصابين بتسوس الأسنان وفقر الدم وبالكساح كما وُجد مثل ذلك بين البالغين . وعند فحص أغذيتهم وُجد أن كمية الكالسيوم والفيتامين (دال) قليلة بدون شكٍّ . أما فيتامين (الف) وفيتامين (ج) فقد كانت كميتهما قليلة أيضاً . ولكن لم نتبين حدوث أعراض مرضية مما تحدثه قلة هذين الفيتامينين .

ولا ينقصنا الدليل على وجود أعراض سوء التغذية وقلة التغذية في مصر الحديثة ، وأهم أسبابها الفقر والطفيليات المعوية والجهل .

والاصابة بالطفيليات المعوية تلعب دوراً كبيراً في إضعاف المصريين بشكل يقلل من انتاجهم ومن قدرتهم على الكسب . وهي تعطل نموّهم الجسماني والعقلي وتعرّضهم للاصابة بالأمراض الغذائية .

وانتشار الطفيليات المعوية كبيرٌ وقد تصل الاصابات في بعض المناطق الى ٩٠ ٪ من السكان ، والاصابات في أغلب الأحوال مركبة . وأكثر الطفيليات انتشاراً البلهارسيا بنوعيها ودودة الاسكاريس والانكلستوما والأميبا .

وتصل اصابات البلاجرا الظاهرة في بعض المناطق الى ١٠ ٪ من السكان . ولا بدَّ من وجود عدد كبير من حالات بلاجرا مستكنة في الوقت نفسه . والبلاجرا تتبع الاصابات بالأمراض الطفيلية في مصر ، وقد دلَّ تقدير كمية حامض النيكوتينيك في دم المصابين بالأمراض الطفيلية الخالين من البلاجرا بأنه أكثر من الكمية الموجودة في دم المصابين بالبلاجرا . ولكنه أقل مما يوجد في دم الاصحاء ، وهذا الائتلاف بين البلاجرا والطفيليات يثير مسألة هامة وهي أيهما أنفع للبلاد محاربة الطفيليات ، أم رفع مستوى الاستهلاك الغذائي ؟ وقد اختارت مصر أن تتبع الأمرين معاً . كما بدىء بتجربة علاج البلاجرا بواسطة اعطاء المرضى تمراً وملوخية وهي مأكولات مصرية وجدت بها كميات كبيرة من حامض النيكوتينيك (١٢ ملليجراماً في المائة) .

أما الاصابة بالكساح فمنتشرة أيضاً وتتراوح نسبة الاصابة به بين الأطفال بين ١٠ ٪ و ٦٠ ٪ وهذا المرض يقل في الشمال من شاطىء البحر المتوسط . ويزداد كلما نزل الانسان جنوباً حتى أسوان، وفسِّر هذا بأن زيادة الاصابة تتمشى مع زيادة النقص في انتاج الألبان. أما بلاد النوبة فبالنسبة لعادة شرب اللبن مع الشاي هناك فأنه لم يُعْثَر فيها على حالات كساحٍ .

والخلاصة أن القطر في الوقت الحالي يُنْتِجُ أطعمة كافية للاهالي من الوجهة السُّعرية ولكن أغذية الاهالي تنقصها الأطعمة الواقية كاللبن ومنتوجاته والفواكه والخضراوات والسمك واللحوم . ولا بد من زيادة انتاج اللبن إلى الضِّعف على الأقل كما أن انتاج الفواكه والخضراوات في حاجة إلى تشجيعٍ مستمر .

هذا ملخصٌ لحالة التغذية الحالية نورده هنا لمقارنته بالحالة في أيام أجدادنا وهو مأخوذ من المذكرة المصرية المقدمة لمؤتمر الأمم المتحدة للأغذية والزراعة بأمريكا سنة ١٩٤٣ ، (راجع تقرير وزارة الزراعة عن هذا المؤتمر صفحة ٨ و ٩).

﴿ أهمُّ عناصر التغذية ﴾ ليس هذا مقام الافاضة في محتويات الغذاء الزلالية والنشوية والدهنية والمائية، فهذه متروك أمرها لفرص أخرى، وهي من الوجهة الغذائية تقوم بتوليد الحرارة وتعويض المستهلك من الجسم ، من حيثُ احتوائها على الكربون والأيدروجين

والأكسيجين والأزوت . لكن هناك عناصرُ أخرى غذائية كالمعادن والفيتامينات ، تنعدم في بعض الأغذية وتتوفر في الأخرى ، تساعد على النمو ومقاومة الأمراض ، كما أن قلتها تسببُ أمراضاً وعاهات جسمية عديدة . وإلى هذه الناحية يُنْسَبُ أكثرُ أمراض قلة التغذية وسوء التغذية . فالكالسيوم والحديد والفسفور واليود مثلاً لا توجد إلاَّ في الأغذية الحيَّة الطازجة ، ويفتقرُ اليها كثير من أنواع الأطعمة التي يقبل عليها الانسان المتحضر ، والتي أجريت عليها عمليات معقدة من الطهي أو التكرير والحفظ لمدة طويلة .

فالدقيق الأبيض خال من هذه العناصر ، والسكر الأبيض خال تماماً منها ، وكذلك السمن الخالص النقي . واذا علمت أن أكثر من نصف غذاء الانسان المتحضر يتركب من هذه المواد الثلاث أدركت الخطر الذي يهدد صحته بحرمانه من هذه العناصر . فالكالسيوم مثلاً تتركب منه العظام والأسنان ويساعدُ على تجلط الدم ووظيفة الهضم وشفاء الجروح وانقباض عضلات القلب، وقلته تسبب الكساح ولين العظام وغيرها . أما الحديد — فموجود بالدم وبدونه يعجز الجسم عن امتصاص الاكسجين الذي يحيط به فيموت ، وهو يوجد في اللحوم والبقول الجافة وأوراق الخضراوات . وأما الفسفور — فله دور هام في نمو الحيوان وبناء الأنسجة . كذلك اليود — الذي تفرزه الغدة الدرقية والذي يساعد كثيراً في معادلة السموم التي تنتجُ من تخمر المادة البروتينية في الأمعاء ، كما انه يساعد كثيراً في بناء الأنسجة والنمو . هذا من جهة المعادن بالايجاز .

أما من جهة الفيتامينات فأهمها فيتامين ا — (Vitacarotene) ، يساعد على النمو ويقي العينين من تقرُّح القرنية والأمراض المعدية .

فيتامين (ب) — وينقسم الى ب^{١} — له علاقة كبيرة بالأعصاب ، و ب^{٢} — الواقي من البلاجرا ، وفيتامين (ج) (Ascorbic acid) الواقي من الاسكربوط ، وفيتامين (د) (Calciferol) الواقي من الكساح ، وفيتامين (ه) ذو العلاقة بعملية الاخصاب ونمو البيضة وإتمام الحمل .

هذه خلاصة صغيرة تظهرنا على أهمية التغذية لصحة الشعب . والآن ننتقل الى أغذية أجدادنا لنتعرَّف حقائقها ومدى تأثيرها فيهم .

﴿ غذاء المصريين الأقدمين ﴾ — مصر مهد الزراعة — فيها ابتكرت وسائلُ الحرث والبذر والحصاد ، وفيها نشأت مشاريع الري وتخزين المياه وطرق حفظ الحبوب واللحوم. لذلك كانت الفلاحة أشرف مهنة، وكانت المحصولات الزراعية عماد الثروة ؟ وأهمّ ما أنتجه القطر يومئذٍ من المواد الغذائية القمح والبقول والفواكه ومن المواد الكسائية الكتانُ والصوف .

***

قال هيرودوت إن القطر المصري في عهد أمازيس (٥٦٩ — ٥٢٥ ق . م .) كان يحوي ٢٠٠٠٠ مدينة عامرة . أما ديودورس الصّقِلّيّ فأحصاها بـ ١٨٠٠٠ مدينة وقرية كبيرة . وقيل أنها بلغت في عهد بطلميوس لاغوس (حوالى ٣٠٠ ق.م) ٣٠٠٠٠ مدينة وقرية كبيرة. أما تعداد الاهالي فكان يتراوح بين ثلاثة ملايين وسبعة ملايين نسمة حسب حالة الرخاء في البلاد . وقد يكون أعلا من ذلك بكثير ، إذا قرناه بتعداده في العهد الأخير . ففي عام ١٨٨٢ ميلادية مثلاً كان تعدادُ القطر المصري ٦ر٨٠٠ر٠٠٠ نسمة فبلغ عام ١٩٠٧ حوالي ١١ر٢٨٧ر٠٠٠ نسمة ، ثم صعد في عام ١٩٣٧ الى ١٥ر٩٣٢ر٦٩٤ نسمة ،

وكانت الأراضي الزراعية وقتئذٍ تُروى بالحياض (وهو نظام أبتُكِرَ في مصر) ، لذلك كانت المحاصيل الزراعية شتوية . وولع المصريون بتربية المواشي والطيور وتربية النحل ، وكانوا يكثرون من أكل اللحوم وشرب الألبان وأكل العسل ، مما كان له تأثير كبير في نموهم وابعاد الأمراض عنهم وتفوّقهم على غيرهم في الحروب والعلوم والآداب .

واشتهر القطر المصري منذ أقدم الأزمنة بوفرة خضره ، ووجد العرب عندما فتحوا مدينة الاسكندرية أربعة آلاف بائع خضر فيها (ولكنسون جزء ١ صفحة ١٩٨) .

ولما كانت البقول أهم المواد الغذائية في مصر الفرعونية ، وكان الرغيف عماد الغذاء ، فأننا نبدأ الآن بذكر موجز لتاريخ تلك البقول .

القمحُ — وجد بمقابر الأسر الأولى (٣٤٠٠ ق . م .) في بعض الأوعية ، وهو من نوع القمح الجبليّ أو قمح جبل فارس المعروف باسم (Triticum spelta) ، ثم اجتهدوا بطريقة التلقيح المختلط حتى استنبتوا نوع القمح الحاليّ (Triticum vulgare) . وقد عثر عليه (بتري) في المقابر المصرية القديمة .

وأهم أنواع الحنطة التي كانت معروفة عنـدهم وقتئذٍ هي (Triticum anyleum) و (Triticum vulgare) و (Triticum turgidum)

وكانت مصر تصدِّر الحنطة الى جميع سكان البحر المتوسط . ويُستدَلُ على عظم محصول مصر وقتئذٍ بتأثير القحط الذي حلَّ بمصر على بلدان تلك الجهات . فقد جاء بالذكر الحكيم حكاية عن ذلك (يأيها العزيز مسَّنا وأهلنا الضُّرُّ وجئنا ببضاعةٍ مزجاةً فأوفِ لنا الكيلَ وتصدَّقْ علينا) أما سفرُ التكوين فقد جاء فيه عن ذلك (اصحاح ٤١ آية ٥٧) (واشتد الجوع في أرض مصر . وجاءت كل الأرض الى مصر ، الى يوسفِ لتشتري قمحاً . لأن الجوع كان شديداً في كلِّ الأرض ، واحتكرت الحكومة المصرية حق تصدير الحنطة وحقَّ بَيْعها » .

وقمحٌ لفظٌ مصريٌ قديمٌ . وقد وُجِد بالأقصر حوالي سبعة أرادب قمحاً ، أُخْتُبِر زَرْعُها فلم يُنْبِتْ لموت الجنين طبعاً . وكان مغلَّفاً بطبقة من الورنيش لحفظه من التلف .

الشعير — (Hordeum vulgare) وجد بمقابر الأسر الأولى مع القمح الجبلي ، ولم يعلم موطنه الأصلي بالضبط ، وميَّز المصريون بين الشعير الأبيض والشعير الأحمر . وفي عهد الأهرام (قبل ٢٧٥٠ ق. م .) صنع المصريون الخبز من الشعير ، أما الجعة أو البوظة فكانت تصنع في جميع العصور من الشعير .

الذرة — (Sorgham vulgare) لم توجد بمصر القديمة ولم يعثر عليها بالمقابر ولم ترسم على الآثار . وللذرة موطنان : أمريكا الجنوبية وافريقية . وقد ورد ذكر الأخيرة في سفر حزقيال باسم الدخن (أمين باشا المعلوف مقتطف يناير سنة ١٩٣٥ صفحة ٣٨)

الفول — (Vicia faba) وجد مذكوراً على القبور الفرعونية منذ ٣٠٠٠ ق . م . وعثر عليه في مقابر الأسرة ١٢ (٢٠٠٠ — ١٧٨٨ ق . م .) ، واسمه بالمصرية القديمة (فوير) وهو أصل لفظة (فول) .

العدس — (Ervum lens) نبات مصري قديم ، وكان المصريون يفصلون قشوره عن حبه ، وكان العدس مأكولاً مألوفاً طلبه بنو اسرائيل في غربتهم حيث قالوا : (ادع لنا

ربكَ يخرجْ لنا مما تنبتُ الأرضُ من بقلها وقثّـائها وفومها وعدسها وبصلها) .

الحمص — (Cicer aretinum) وبالانكليزية (Chick-pea) وُجـدَ بمصر إلاَ أن هيرودوت قال عنه أن الديانة المصرية القديمة حرَّمت أكله .

وهذا بيان بأهم الخضر المصرية :

الباميا — (Hibiscus esculentus) (Ladies, fingers) ورد مرسوماً على الآثار .

الملوخية — (Trochorus olitorius) وردت مذكورة باسم (مِنْـح) على الآثار .

الكرنب — (Brassica oleracea) (Cabbage) ورد ذكره في قرطاس (ساليير) حكاية عن البستاني (الذي يمضي نهاره يروي الكرات وليله في ري الكرنب) .

البسلة — (Pisum Saiivum) وبالانكليزية (Peas) وجـدت منها مقادير كبيرة في هوارة بالفيوم (٢٠٠٠—١٧٩٠ ق. م.) واسمها بالمصرية (لاكونشة)

الكرات — (Allium porrum) نبت مصري ورد بالتوراة ووُجد بالمقابر الفرعونية واسمه بالمصرية القديمة (كراتا)

الفجل (Raphanus Sativum) وبالانكليزية (raddish) وُجد منه فجلتان بمقابر لاهون بالفيوم (٢٠٠٠—١٧٩٠ ق. م.)

الخس — (Lactuca Sativa) وبالانكليزية (Lettuce) كان موجوداً منه عدة أنواع

القثاء والخيار — (Cucumis Chate) وبالانكليزية (Cucumber) وقد أسف له بنو اسرائيل وقت خروجهم من مصر (اعداد ١١—٥) وجدت أجزاء من فروع الخيار بالفيوم)

البصل — (Alleium Cepa) وبالانكليزية (Onion) رسم على الآثار وقدم قرباناً ووجد بالمقابر واسمه بالمصرية (بصر)

الثوم — (Allium Sativum) نبات مصري من أقدم العصور وجدت منه حزمة بمقبرة واسمه (حتوم)

الترمس — (Lupinus) وبالانكليزية (Lupine) وجده (بتري) بمقبرة بالفيوم بمدينة هوارة

سمسم — (Sesamum Indicum) اسمه بالمصرية (شمشم)

الكرفس — Apium dulce وبالانكليزية Celery عثر على بذره بالمقابر وفروعه ضمن إكليل

الفاكهة — اهتمّ المصريون بشجر الفاكهة فأنشأوا البساتين الكثيرة ورسموها على المعابد واليكم بيانٌ بأهمّ الفواكه الفرعونية المعروفة الآن : —

العنب — (Vitis Vinipera) وبالأنجليزية (Vine) زُرع بمصر منذ أقدم العصور. ودخل رسم تكعيبة العنب حرفاً في الخط الهيروغليفي. وعُثر بالمقابر المصرية القديمة على زبيب من أنواع متباينة. والنوع المصري القديم هو الأسود وهو أصل العنب الحديث الذي انتشر حتى بلاد القوقاز شرقاً والمانيا غرباً وشمالاً. أما البلح ويعرف شجره باللاتينية باسم (Phoenix dactylifera)، فقد عثر على نواه من العهد الحجري. وقد أكله المصريون غضاً ومسكراً في عسلٍ وصنعوا منه العرقي واستعملوه علاجاً. وأما التوت (Morus) وبالانجليزية (Mulberry) فهو مصري الموطن. وجد بعض منه في هوارة بالفيوم. والسّدر (وهو النبق) ويقال له باللاتينية Zizyphus spina christi وبالانجليزية Jujubes فقد وجد بكثرة في المقابر المصرية. وصنع منه الخبز ودخل ضمن الوصفات الطبية بقرطاس (ايبرس). وهناك أيضاً البطيخ (Citrullus Vulgaris) ورد مرسوماً بكثرة على الآثار، ووجد ورقه كاسياً لموميات كاهن، وعُثر على بذوره في مقبرة مصرية قديمة. واسمه بالمصرية (بدوكا) وهو أصل لفظ (بطيخ). (راجع إرمان ص ٢٢٧ شكل ٧٢ و ٧٥ و ٢٠٨ شكل ٥٧).

وهناك فواكه كثيرة أدخلها المصريون الى بلادهم أهمّها اللوز والموالح والليمون والجوز والبندق والخوخ والكمثرى والتفاح.

هذا من جهة الثروة النباتية، أما الثروة الحيوانية فأكثر كثيراً من حالتها الراهنة. فشمال الدلتا كان مخصصاً للمراعي والطيور الأليفة وغيرها حيث كانت توجد بكميات هائلة كما يلاحظ من رسوم المقابر حتى كانت تصاد بالعصاة الملتوية. وهناك حيوانات كثيرة كانت تقطن القطر انقرضت الآن : منها الأبقار ذات القرون الطويلة، ومنها الكباش ذوات القرون المستعرضة، ومنها طيور البلكان (pellican) المستأنس والابل والغزال.

أما الأسماك فبالنسبة لكون الأرض كانت تُزْرَعُ بالحياض فان المياه كانت تغمر الأرض وكانت الأسماك لذلك كثيرة غزيرة. وهي مرسومة بشكل يوضح تلك الكثرة. وما اكثر ما يقدم من اللحوم قرباناً للموتى سنوياً، فقد يبلغ المتوسط المئات وأحياناً الألوف.

وخلاصة القول فان أجدادنا كان لديهم ثروة كبيرة من اللحوم البرية والمائية والهوائية (راجع شكل ٥٦ برستد ص ٧٠) .

وأمة هذا شأنها لا بد وأن تكون أغذيتها رخيصة الثمن . ومتى رخص الثمن سهل التناول ، ومتى سهل التناول كثر الاستهلاك وتحسن الغذاء وانعدم كثير من أمراض نقص التغذية وسوء التغذية . وليس لدينا بيان بأثمان الحاجيات الغذائية وقتئذٍ لأن العملة لم تستعمل إلاَّ في العهد الأخير . نعم ان حلقات الذهب والفضة أول عملة تواجدت في العالم وابتكرها المصريون ، إلاَّ أن قيمة الذهب كانت دائماً متغيرة بالنسبة لوفرة الفضة وقلتها . ولكن لدينا طريقة أخرى يمكننا أن نستنتج منها بطريقة غير مباشرة أثمان المأكولات ، تلك هي صورة الأسواق التي وجدت مرسومة أحياناً في عصور المملكة القديمة (حوالي ٣٠٠٠ ق . م) ومنها يستدل على ان الأغذية وقتئذٍ كانت أرخص بكثير من عصرنا هذا ، (ارمان ص ٥٨٨ شكل ٢٥٠ وص ٥٨٩ و ص ٢٥١) ففي أحد مناظر تلك الأسواق (شكل ٢٥٠) كانت السمكة التي تزن حوالي الخمس أقات بالنسبة لحجمها تستبدل بصندوق خشبي صغير وبجوار ذلك آنية ادهانٍ عطري تستبدل بآنيتين خزفيتين . أسفل ذلك نرى بائع الكعك الحلو يتبادل بعقد من الخرز ولكن البائع يصر ايضاً على أخذ نعال متينة ! وفي شكل آخر نرى الخضري يتكلم بحدة مع زبونه الذي يرغب في شراء خضر بعقدٍ من الخرز ، فيقول له البائع أرني هذا ! ادفع الثمن المعقول ! ولما كانت العقود مصنوعة عادة من الطين المحروق الملون فهي لذلك رخيصة الثمن . وعلى ذلك لا بد وان الخضر كانت رخيصة أيضاً . وفي شكل آخر نرى البصل يباع في نظير مروحة وهكذا .

وأهم مادة سكرية كانت تستعمل وقتئذٍ هي عسل النحل لأن قصب السكر لم يزرع في مصر كما تعلمون الاَّ في عهد ساكن الجنان المغفور له محمد علي باشا.

نعم إنه وصل الى بلاد الشام قبل الميلاد بقليل وكان يطلق عليه اسم شجر العسل الاَّ ان استخراج السكر منه لم يحصل الاَّ بعد ذلك بمدة طويلة . (ارمان ص ٢٣٠ شكل ٧٦).

وتفنن القوم في تخزين الحبوب في الشون حتى تمكنوا من تغذية أنفسهم طوال السنة .

وحكاية تخزين المحصول سبع سنوات متتالية ليكفي سبع سنوات أخرى في زمن

سيدنا يوسف كافية لأن تظهر لنا ما بلغه أجدادنا من استعداد لتخزين غذاء القطر أجمع سنوات عديدة، بل وغذاء البلدان المجاورة ايضاً .

لكن هذا لا يكفي لأن يظهر أغذية أجدادنا من جميع الوجوه . نعم إن وفرة المحاصيل الزراعية والحيوانية ورخص الأثمان كلها دلائل على امكان وجود أغذية بكميات كبيرة لا تقارن مع حالتنا الراهنة ، إلاَّ ان ناحية تحضير تلك الأغذية لها أهميتها الصحية وتأثيرها على المجتمع المصري . فكلنا نعلم ان الدقيق الأبيض الذي يصنع منه خبزنا إلى ما قبل الحرب ، والذي نأكله ثلاث مرات في اليوم ، مركب من مادة نشوية نقية تتركب من ثلاث عناصر لا غير هي الكربون ، والايدروجين ، والاكسوجين ، أي انه لا يزيد عن كونه وقوداً يمدُّ الجسم بمقدار من الطاقة أو بضع مئات من السعرات الحرارية ، ذلك لأن النخالة قد فصلت عنه والنخالة تحوي السليكون والكبريت والنتروجين والحديد واليود والبوتاسيوم والمنجنيز والفسفور عدا الفيتامينات والمركبات الهلامية الغرائية .

فالفسفور الذي يعمل على تقوية الأعصاب ، والحديد الذي يقوي الجسم ويمنع الأنيميا أو فقر الدم، والكالسيوم الذي يقوي العظام والأسنان والغضاريف ويحافظ على قلوية الدم، والسليكون الذي يمنع الصلع وسقوط الشعر، بل يقويه ويُكسبه لمعاناً طبيعيًّا ، واليود الذي به تحضر به الغدة الدرقية هرمون الثروكسين Thyroxin ، والنتروجين والكبريت الضروريان لبناء الأنسجة وتكوينها تكويناً سليماً ، والبوتاسيوم والمانجنيز وبقية العناصر اللازمة لعمليات الجسم ووظائفه البيولوجية والفسيولوجية ، كل هذه العناصر يكاد يكون الدقيق الأبيض خلواً منها ، (كتاب الأغذية للاستاذ حسين عبد السلام ص ٧٧) .

فلنبحث الآن في طرق تحضير أغذية أجدادنا ونتتبعها بقدر الامكان ، من نواحي الطهي والوجبات وصناعة الخبز علنا نجد هناك سر تفوق القطر المصري القديم على سواه لأن العقل السليم في الجسم السليم .

الطهي — أظهرت لنا حفائر تل العمارنة كبر مساحات المنازل وتعدد حجراتها وتنوع اختصاصاتها. أما تنوع اختصاص الخدم في تلك القصور فواضح منذ عهد الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٨٨ ق.م) فمنذ تلك العصور كانت مخازن الطعام موضوعة تحت عهدة «رئيس

الطعام » ، وهو في الوقت نفسه « رئيس الخدم » ويشرف هذا الموظف بحكم مركزه على صناعة الخبز والجعة ، ولذا نجده مرسوماً عادةً بدين الجسم. ويتبع هذا الموظف رئيس الطهي والمطبخ . ويقوم بعملية الطهي عدة افراد أهمهم الخبازون . كذا يعهد الى موظف خاص بالاشراف على المشروبات المتنوعة . وهناك فوق ذلك القصابون وغيرهم.

اما منازل الطبقة الوسطى فكانت في عهد المملكة الوسطى أصغر حجماً وأوضع شأناً عما سبق وصفه . لكنها حوت الطباخ والساقي والجنايني والخدم الآخرين ، وكان الرجال وقتئذٍ يفضلون الخادمات السوريات الجميلات

اما سرايات الملوك فكانت تفوق كل ما ذكر حجماً وعظمة وعدداً . وكان مخصصاً مثلاً موظف بمرتبة « رئيس موظفي الطعام » وآخر بمرتبة « رئيس موظفي الشراب » وغيرهم من ذوي الحيثيات الكبيرة والنفوذ العظيم .

وكان الخبز والجعة أهم ما يوزع من الطعام على موظفي القصور وذلك بكميات متباينة ، فقد ورد مثلاً ان العالم Dedi البالغ وقتئذٍ ١١٠ سنة من العمر كان يعطى يومياً ٥٠٠ رغيفاً ونخذاً من عجل . و١٠٠ قدر من الجعة . بينما ورد ان البنّاء كان يعطى في سراي الملك يومياً أربعة أرغفة وقدرين من الجعة . والفيلسوف Duān كان يعطى يومياً ثلاثة أرغفة وقدرين من الجعة . ذلك في عهد المملكة الوسطى كما هو واود في نصوصها . لكننا من جهة أخرى نرى ان موائد القربان للموتى كانت تحوي أنواعاً كثيرة غير ما ذكر ، مما يشير الى ان غذاء القوم وقتئذٍ لم يكن قاصراً على الخبز والجعة . فعلى هذه الموائد نرى مذكوراً بجانب الخبز والجعة — نرى الأوز ولحم العجول كمواد غذائية ، وأحياناً أغذية متنوعة بلغت أحياناً خمسة أصناف من اللحوم وخمسة أصناف من الطيور وستة عشر نوعاً من الخبز والكعك وستة أنواع من النبيذ واحد عشر نوعاً من الفاكهة وغير ذلك.

وجبات الطعام — وقسم المصري منذ أقدم العصور وجباته اليومية ثلاثاً ، وهذه كانت تقتصر أحياناً على وجبتين . والوجبة المهمة كانت اما وجبة الظهيرة، او وجبة المساء . وكان الانسان في العصور القديمة جداً يأكل معظم ما تخرجه الارض من طعام . وهذا الطعام كان يقدّم في أوانٍ توضع على حصير . وبمرور الزمن استبدل الحصير بمائدة منخفضة منذ

الأسرة الخامسة محفور فيها أطباق الطعام . ثم رفعت المائدة واستعملت المقاعد للآكلين واستعين بالخدم في تقديم الطعام . واعتاد القوم ان يأكلوا بايديهم دون الاستعانة بأدوات (وفي شكل ٦٦ Erman P. 220) يلاحظ الملك اخناتون (حوالى ١٣٧٠ ق . م) وأفراد عائلته يتناولون اللحوم والطيور المشوية بحالة مبدئية — واعتاد القوم غسل أيديهم قبل الوجبات وبعدها ، ورسموا أواني الغسل هذه بجوار موائدهم (شكل ٦٧ و ٦٨ ارمان)

وولع المصريون كغيرهم بالوان الطعام الأجنبية من أهالى سورية وآسيا الصغرى والعراق فكانوا مغرمين بزيت قبرص ونبيذ سورية وبابل وفاكهة الشام

طرق طهي الطعام — ان معلوماتنا عن طرق طهي الطعام في العهد الفرعوني ناقصة وسنذكر هنا أهم ما وصل الينا . كان أشهى طعام عند أجدادنا الأوز المشوي ، وتتلخص عملية الشيّ هذه في إدخال عصا في الطائر الى بطنه ثم وضعه فوق النار ، وبنفس الطريقة كان يشوى السمك ، وطبيعي أن مثل هذا اللون من الطعام لا يكون شهيًّا جدًّا إذا ما طهي بالكيفية المذكورة ، وتوضع النار في موقدٍ خاص ، (راجع شكل ٦٩ ص ٢٢٢ ارمان). وذلك هو أبسط أنواع الطهي ، أما قصور الأمراء والعظماء فكانت تحوي أفرانًا أكثر إتقانًا من هذه . فهناك نشاهد تقطيع اللحوم الى أجزاء صغيرة ثم وضعها في أوانٍ كبيرة للطهي تركز على (سفّودين) فوق الموقد ، وقد عثر في مقبرة Uch-hotpe بمير على رسم يبين طهي ربع عجل بأكمله . وفي عهد رمسيس الثالث (١١٩٨ — ١١٦٧ ق . م) بدأنا نعثر على أوانٍ للطهي معدنية وشوكة ذات شعبتين لقلب الطعام ، كما ان الموقد أصبح مرفوعًا عن مستوى الأرض الى مستوى القامة بالبناء وموضوعًا فوق الموقد السفافيد اللازمة لشيّ اللحم .

موائد الطعام — كانت محلاةً بزهر اللوتس والأزهار الأخرى ، واعتاد القوم وقت الولائم تقديم الأزهار ذات الألوان الجميلة والروائح العطرية للمدعوين .

الخبزُ — هو أهمّ مادة غذائية منزلية في تلك العصور . وكانت عملية الطحن والخبز تعملان بالمنزل . أما الطحن فكان يعمل بتحريك حجرين عدّة مرات وبينهما حبوب القمح الى أن تتفتت تلك الحبوب فتصبح دقيقًا ، والحجر الادنى أضخم من الاعلا وهو مائلٌ الى

Orientalisches Seminar

الأمام قليلاً ، تسهيلاً للدقيق أن يسيل في ذلك الاتجاه حتى يتساقط في اناء خاص . أما الحجر الأعلا فأصغر حجماً وأخف ثقلاً وهو الذي تقبض عليه الخادمة وتضغط به مع التحريك أماماً وخلفاً فوق الحبوب وهي عملية متعبة حقاً . وكان الطاحون في عهد المملكة القديمة (حوالي القرن الثلاثين ق . م موضوعاً على الأرض ، فكانت الخادمة تركع على ركبتها لتقوم بعملية الطحن (لوحة ١٦ شكل ٢ أمام صفحة ٢٠٩ ارمان) . واعتادت الخادمة أثناء هذه العملية وضع لباس على رأسها لتحفظ شعرها فلا يضايقها ، وفي عهد المملكة الوسطى (القرن العشرون ق . م) رُفع الطاحون الى أعلا حتى يتمكن القائم بالعمل أن يطحن القمح واقفاً .

وهذه العملية تظهر أن القوم كانوا يصنعون خبزهم من كل عناصر القمح مجتمعة ، وهذا يعني أولاً – ان الدقيق لم يكن ناعماً بالدرجة المعروفة عندنا. ثانياً – انه كان حاوياً لكل أنواع الفيتامينات والمعادن السابق ذكرها في النخالة . ثالثاً – ان الخبز المصري كان مصنوعاً من القمح فقط لعدم وجود الذرة وقتئذٍ ، فمرض البلاجرا مثلاً لم يكن موجوداً ، وهذا المرض كما تعلمون نتيجة قلة فيتامين ب .

وبعد الفراغ من عملية الطحن يبدأ بعملية العجن ثم (القرص) . وقد جعل الخبز بأشكال متباينة مستديرة ومستطيلة ومخروطية وهكذا ، (شكل ٧٠ ص ٢٢٢ ارمان) ولا تخبز هذه الأرغفة داخل أفران بل فوق الأفران . وأبسط هذه الافران مكونٌ من بلاطةٍ طينيةٍ مرفوعة فوق قالبين من الطوب بينهما نار مؤججة ، فتوضع فوق البلاطة المذكورة حتى تسوى . ولما كان زمن الأسرة ١٨ (حوالي ١٣٧٠ ق . م .) وجد بتل العمارنة أنواع من الأفران أدق صنعاً وأحسن تركيباً ، بعضها مخروطي الشكل كبير الشبه بمحال تربية النحل ، وبارتفاع متر تقريباً ، وهي مشيدة من الطوب اللبن ومفتوحة من أعلا لاخراج الدخان ، ولها فتحة سفلية للوقود . ويوضع الخبز فوق الحطام المتأججة . ويشاهد على جدران مقبرة رمسيس الثالث مناظر لعملية العجن والخبز واضحة بحالة لا بأس بها ، فالعجن ممثل مصنوعاً بالأرجل بدلاً من استعمال الأيدي المضني ، وقائماً به رجلان واقفان في أناء كبير يستعينان بعصوين غليظين يتمكنان بهما من القفز الى مسافة أعلا ، حتى يكون هبوطهما مساعدة على اتقان العملية ، وبعد ذلك ينقل العجين بعد التخمر في قدور الى الخباز الذي يقوم أولاً بعمل

الارغفة بأشكال متباينة بعضها حلزونية ذات اللون الاسمر أو الاحمر ، والبعض على هيئة حيوانات كالأبقار ، والبعض مستدير أو مثلث .. الخ . وأسفل هذه الرسوم توجد رسوم أخرى تظهر عملية تحضير الجعة، وتتلخص هذه في دق القمح دقًّا متوسطاً في الهون. ثم نقعه ثم جعل العجين في أشكال متباينة اتخبز خبزاً خفيفاً . بعد ذلك تسحق هذه الأرغفة سحقاً متوسطاً ثم تنقع في الماء ويصفى السائل في منخل ، (شكل ٧١ ارمان ص ٢٢٤) وهذا السائل هو الجعة وهو يحفظ في أوانٍ مدهونة من الداخل بالقار (Pitch) ثم تسد باحكام الى حين الاستعمال . ويمتاز هذا المشروب المصري القديم على البوظة الحديثة بأن الأول كان يحفظ مدة طويلة قبل تعاطيه . أما البوظة فتشرب بعد الفراغ من عملها توًّا . وكان المصريون مغرمين بشرب البيرة الأجنبية وخصوصاً الواردة من آسيا الصغرى . ويطلقون عبارة «جعة من المرفأ حقًّا » أعني جعة مصدرة من ميناء آسيا الصغرى حقيقة . وبجانب الجعة وَلِعَ المصري بنبيذ العنب وصنعه . (ارمان ص ٢٢٧ شكل ٧٢ و ٧٣) واستعملوا السيفون في ترويقها (ارمان ص ٢٢٨ شكل ٧٤)

﴿ أمراض قدماء المصريين ﴾ الناتجة من سوء التغذية وقلة التغذية — وصلتنا بيانات متنوعة عن بعض أمراض التغذية في العهد الفرعوني ، نذكر منها مرض الدرن بالعامود الفقري (١٠٠٠ ق . م) (الطب المصري القديم ص ٥٢) والدرن كما يعلم نتيجة قلة التغذية وقلة الجير والفيتامين (د) في الطعام . كذا عثر بمقابر بني حسن (٢٣٠٠ ق . م) على رسوم لمرضى بمرض الكساح نتيجة قلة الفيتامين (د) مع الجير أيضاً . واشتهر المصري من قديم الزمان بجودة أسنانه وحسن صحته . وبالرجوع الى نماذج الجنود المصريين التي وجدت بمقابر الاسرة الثانية عشرة أيضاً (٢٠٠٠ ق.م) يظهر أنهم كانوا وافري الطول أقوياء البنية ممتلئي الجسم ، وهي علامات ان دلت على شيء فعلى عدم وجود نقص أو سوء في تغذية وتمثال الفلاح بالمتحف المصري دليل واضح على نشاطه وامتشاق جسمه) ، وصورة الاميرة نفرت وزوجها من عهد الاسرة الرابعة مثال واضح لكمال التغذية وقتئذ

النتيجة:— يتضح مما تقدم أنه كان هناك نقص في بعض الحالات من ناحية الجير والفيتامين (د) لكنه كان قليلا جدًّا . وفيما عدا ذلك فكان الطعام كافياً وأمراض سوء التغذية وقلتها

قليلة أيضاً ، وربما كان السر في ذلك راجعا الى رغيف الخبز المصري المصنوع من القمح، والى وفرة اللحوم والطيور والاسماك

والى القراء بيان بالأغذية المصرية القديمة ووفرة ما تحويه من مواد الطاقة والوقاية :

الغـذاء	مواد زلالية	مواد دهنية	مواد نشوية	فيتامين ا	فيتامين ب	فيتامين ج	فيتامين د	جير	حديد	يود
القمح (موجود بأ كمله بالخبز)	*	أثر	***	*	ب١* ب٢*					
الفول	*	أثر	***		ب١*					
العدس	**	أثر	***		ب١*					
الخيار	••	••	••			*				
البصل	••		*			*				
الكرنب	أثر		*	*	ب١* ب٢*	*				
التين	*		***	*				*		
البطيخ			*	*		*				
البلح	أثر		***		*					
اللحم العجالي	**	*		*	ب٢*			*		
الأوز	**	*		*	ب٢*					
البيض	*	**	*	*	ب*		*	*	*	
اللبن	*	*	*	*	ب١* ب٢*	*	*	*		
العسل			***							
السمك	**	*		*		—	*			*

ان طحن القمح بالمطاحن الحديثة يفقد الحبوب ثلاثة أرباع ما تحويه من الاملاح المعدنية وأهمها فوسفات البوتاسيوم اللازم لأعصابنا، وأملاح الكالسيوم الضروري لعظامنا وأسناننا، كما ان عملية الطحن تفقد أجنة الحبوب الغنية بالفيتامين (ب) الذي يساعد على نمو المجموع العصبي ونشاطه . ولما كان الرغيف أهم مادة غذائية لقدماء المصريين وجب أن تكون هذه المادة كاملة ما أمكن ، ووجب أن يكون الخبز مصنوعاً من القمح بأ كمله ، وهذا هو أحد أسرار جودة صحة أجسادهم ، وقلة أمراضهم الغذائية .

دكتور : حسن كمال

منية النفس

منيـة النفس تعـالي نستبق   في حياض اللهو والعيش الرغيـدِ
ولنعد لحنَ أغاريد الصبا   ونجـدد سالف العصر الحميـد
كأسـنا لمَّـا تزل مترعـة   بسمادير الأماني والوعـود
فاكرعي منها كما شاء الهوى   جرعة الصادي من الوِرْد البرود (١)
ودعي عنك أقاويل العـدى   ووشايات عذول أو حسود

***

نُشرت أعلام (آذار) ضحىً   في الفيافي نشرَ أفواف البرود (٢)
وقيان الحور ماست مثلما   ماست العذراء في حلة عيـد
نفض السوسن عن أكتافه   كفن الثلج وأغلال الجليـد
فانفضي أوهام عهدٍ بائدٍ   وانزعي عنك تقاليد الجدود
وهلمي نقتسم ميراثنـا   من سراب العمر في هذا الوجود

***

ما الذي أغراك وهنـاً بالبكا   عندما أمعنت في الماضي البعيـد
أشجا قلبك أن يذوي الصـبا   ويغيب الحسن في كهف اللحود
أم شجا قلبك ما طالعتـه   من شحوب في أسارير الخدود
لا تطيلي هجر من أرهقتـه   بلظى الوجد ونيران الصـدود
منيـة النفس هبيني مذنبـاً   أفلا يُغفر للصب الشهيـد
أنا إنْ أخطـأت كانت قبلتي   خيرَ ما جاش بصـدري من قصيدي

« دمشق »   عدنان مردم بك

---

(١) البارد   (٢) الاثواب

عواطف الحياة

ووجوب الحرص عليها (١)

عنوان المناظرة هو: «يجب أن نحرص على عواطف الحياة» وهل نستطيع أن نجد شيئاً غير العواطف، يستحق الحرص عليه؟ إني لأنظر للطبيعة الانسانية، فأجدها قبل أن يقوم علم النفس على دعائم ثابتة، قسمت إلى ما يسمى بالأمزجة Temperaments ولا يزال بعض علماء النفس المحدثين يقسمون الخصائص الانسانية الأصيلة Innate إلى أنواع من هاته الأمزجة، وإنما على شكل علميّ أثبت وأدق.

اليكم على سبيل المثل بعض هـذه التقاسيم: تقسيم هيمانز: عصبي، حساس، بارد، غضوب ثائر، على الحياد، خامل . . . وقد نال هذا التقسيم شهرة خاصة، وميزته أنه يبني الطبيعة الأنسانية على العاطفة ودرجاتها، ولا ذكر للعقل والتعقل فيها.

وقد كان التقسيم القديم مشابهاً لهـذا، وتعرفونه فهو دموي، وبارد، وسوداوي، وغضوب، Sanguine Melancholic, Choleric, Phlegmatic. أما نيتشه فيقسم النـاس إلى أبولونيين، وديونيسيين، أو إلى فريق إلهي العاطفة، وإلى فريق جامح العاطفة ... فالتقسيم حتى عند نيتشه قد بنى الطبيعة الانسانية على العاطفة ولم يشر إلى العقل ....

ومن الطريف أن أذكر رأي إيزروجنش فقد قسم الأول الناس إلى لونيين وشكليين. أما اللونيون فتمتص نفوسهم الصورة بلونها، بينما الشكليون يقفون على الهامش، ويأبون الاندماج ... أي يظل اللون غريباً عليهم ... وتقسيم جاينش لايخرج عن هذا، بل يوضحه. فهو يقسم الناس قسمين: قسماً يجمع، وقسماً يفصل types Integrate and desintegrate... .

فالأول يمتص المدركات الحسية كلها ويندمج فيها، والثاني يقف بجوارها أو عليها

---

(١) مناظرة ألقاها الدكتور الشاعر ابرهيم ناجي

وأما يونج فتقسيمه المشهور في كتابه المعروف Psychological types فيقسم الناس إلى باطنيين Introvert وخارجيين Extrovert . ويقسم الباطنيين أربعة أقسام : من حيث التفكير ، والشعور ، والحساسية ، والالهام ، والخارجيين الى نفس الأقسام . فيلاحظ أن التفكير في النوعين يحتل اثنين من ثمانية أقسام . والباطني يدين بما يجيش في ذاته ، والخارجي يدين بما يتلقاه من العالم الخارجي . . .

من هذا يتضح أن الاختلاف في الطبائع البشرية يقوم على اختلاف العواطف أو بالأصح على طريقة استعمال هاته العواطف . فاذا تقدمنا في علم النفس الحديث ، وجدناه يثير مسائل فلسفية يريد أن يضعها على أسس ثابتة . ما هي العاطفة ، وما هو العقل ؟ وهل هناك عقل حقيقة ؟ إن العاطفة لا شك في وجودها بتاتاً بدليل أن الانسان لا يستطيع أن يشاهد شيئاً أو يلمس شيئاً بدون أن يكون له كنه آخر غير مجرد الواقع الملموس . . ذلك الكنه الآخر هو ما نسميه في علم النفس بالشعور ، أو الاحساس Feeling طيباً أو رديئاً ، ساراً أو غير سار ، وهو أول خطوة نحو أي عمل . فاذا اصطحب ذلك الشعور بتغيرات بدنية كإسراع النبض ، أو الإرتجاف ، يسمى انفعالاً ، فاذا تجمعت الانفعالات حول شيء معين سميت عاطفة ، فيشترط إذن في العاطفة أن تنصب على هدف معين بخلاف الشعور أو الإحساس فقد يكون شيئاً غامضاً ، وهناك من العواطف ما هو أوَّليٌّ ، ومنها ما هو مركب ، ومنها ما هو مشتق ، فالأولي : كالغضب، والمركب كالحب ، أو الرعب ، والمشتق كالأمل ... فيلزم في العاطفة إذن (١): تغيرات فيسيولوجية (٢) أن تنصب على هدف معين (٣) أن تكون مستغرقة لكل الكيان أي ان تكون جوعاً كاملاً ، أو حباً كاملاً أو شوقاً كاملاً . . .

ولقد سمي علم النفس في أول الأمر علم الروح ، ولما كانت الروح مشكوكاً في أمرها ، سمي علم النفس بعلم العقل ، ووجد أن العقل — بالرغم مما بذله الفلاسفة أمثال ديكارت في إثبات وجوده — لا يزال شيئاً مجهولاً ، ولذلك سمي علم النفس ، أو انصبَّ بالأكثر — على آثار ذلك « العقل » التي تظهر في السلوك الانساني ، Behaviour ، وأريد أن أحذركم من أن تعتقدوا أنَّ هذا هو المذهب « السلوكي » الذي يمحو من النفس الانسانية وينكر عليها كل شيء إلاَّ السلوك الآلي المحض . . .

يعني علم النفس بدرس كيفية السلوك عند كلٍّ منا ، والمبتدئون فيه يعرفون أن السلوك عند الجميع يتلخص في المراحل الآتية : الشعور ، العاطفة ، استيقاظ الغريزة ، التفكير ، العمل . ولقد كان هذا التقسيم معروفاً للفلاسفة من قديم . وكان الناس في رأي أفلاطون يقسمون بحسب ما يتقنون من ذلك ، أو بمقدار ما يحتفظون بترتيب ذلك البرنامج . فإن الفلاسفة مثلاً يقفون عند مرحلة العمل ، والشعراء لا يتجاوزون الشعور ، والعاطفة ، والغريزة ، والقواد والفاتحون يتخطون مرحلة التفكير ، أو يختصرونها ...

ولقد وصلنا فيما سبق عند شرح معنى العاطفة ، فعلينا الآن أن نشرح علاقتها بالغريزة . فيكفي أن نقول ان العاطفة هى الطاقة البشرية Energy ، أي الفحم أو البنزين الذي يسير الآلة أو القاطرة . وأما الغريزة فلاصقة بها ، وهي التي تشعل النار فيها ، وكذلك هي التي تهيء لها طريق العمل ، وتأخذ بيدها . فلكل انفعال غريزة تصاحبه ، فغريزة المحافظة على الذات مصاحبة لعاطفة الخوف ... وهكذا ... ولقد تناقش علماء النفس وتحدَّثوا طويلاً في كيفية حدوث العاطفة ، فأكثرهم ردَّها الى عمل فسيولوجى محض . ولقد جاء قول ويليم جيمس محيراً حين قال : نحن لا نبكي لأننا نحزن ، بل نحزن لأننا نبكي . . . يعني بذلك ان العمل الفسيولوجي الممثل في إفراز الدموع هو الذي يسبق عاطفة الحزن . والواقع انهما متلازمان ، بحيث لا يمكن التثبت من أيهما حدث أولاً ، ولكن جيمس يريد أن يؤكد أهمية العمل الفسيولوجي على كل حال ... وإحداث العاطفة على هاته الصورة الميكانيكية ، أدَّى الى قيام نظريات تمحو وجود العقل وتجعلنا نستغني بالتفسير الميكانيكي عن وجوده . فلما سئل أحد العلماء عن الأمومة التي تجعل الدجاجة تحتضن البيضة . قال : ليس هناك ما يسمى الأمومة ، فان الالتهاب الذي في شرج الدجاجة هو الذي يدعوها للرقاد على البيضة ، بدليل أنها مهما عصت يمكن أن نجبرها على الرقود بقليل من الفلفل على الشرج !. قيل وما هي الغريزة ، أجابوا : انه عمل انعكاسي محض ، بدليل ان حركات الطير المذبوح يصعب أن نعرف أهي ألم ، أم حركات عضلية دفاعاً عن النفس ، قيل : وما هو الكلام أليس له اتصال بالفكر ؟ قيل كلاَّ ؟ بل الفكر حركة حنجرية عضلية صامتة subvocal words قيل : وما الارادة ، هل تنكرون وجودها كدليل على وجود ما يسمى العقل .. ؟. قيل : كلاَّ فانك ان سلطت الكهربا على جزء

المخ الذي يرفع الذراع ، قال لك رافع الذراع إنه « يشعر إنه يقوم بذلك من تلقاء نفسه ».

قيل : وما هو العقل إذن؟؟. قالوا : انما هو شعور المادة بنفسها ، Awareness أو بعبارة أخرى «وعي المادة بوجودها ». أجاب آخرون : وما رأيكم في الوعي الباطن . أجابوا : ان هذا يختلف اختلافاً بيناً عن العقل الواعي . بينما الوعي بتفكيره وإرادته وتعليله مشكوك فيه ، فان العقل الباطن هو مركز العاطفة والغريزة ، وهو الذي يسيطر على $\frac{٩}{١٠}$ من أعمالنا العادية، ولا سبيل الى انكاره بتاتاً بدليل ان الانسان يمكنه أن يرى بعقله الباطن إذا أغلق عينيه .

ولقد وصف جود القاطرة الانسانية وصفاً جميلاً مقنعاً . قال : ان القاطرة الانسانية هي وقود (العاطفة) وسائق (الذات الانسانية) وكمّاحة (الارادة).

ونحن لا نعرف ما هي « الذات » بالضبط ، وانما نحن نعلم انها هي التي تشعل الوقود وتضبط الكمّاحة أي(الفرملة). ولكن الآلة يمكنها أن تعمل بمجرد اشعال الوقود، والعكس مستحيل . قيل : ولكن القاطرة بدون السائق والفرامل تخرج عن الخط وتحطم ما أمامها . قال المنكرون للعقل ، ان التفكير ما هو الاّ عادات نعتادها ، وخطط ترسم في النفس وتتخذ سبلاً محددة معبدة .

ولكن المحدثين قالوا بل إن هناك من الأشياء ما لا تستطيعون تفسيره ، وذلك هو ان العقل الذي تنكرونه يصنع أربعة أشياء لا تستطيعون أن تعللوا وجودها بدون أن تؤمنوا بوجوده ، ألا وهي ربط الأشياء ، واختيارها ، وترتيبها ، والاستنباط منها . هذه الخصائص الثلاث هي التي تميز الانسان من الحيوان ، أي تميز العقل الكامل من بضعة خصائص حيوانية يبدو عليها مخايل العقل وليست منه .

إن الذي أدّى الى انكار العقل هو «درون» فقد كانت نظريته تقوم على السبب والمسبب. فلما جاء تلميذه برجسون أنكر ذلك الترتيب الميكانيكي ، ولكنه أعطى الأفضلية لا للعقل ، وانما لشيء فوق العقل يسمى البصيرة . والبصيرة بلا جدال تنبع من الغرائز ، فهي لصيقة بالعاطفة . ولقد أكد برجسون ، وأنا من رأيه ، أن الانسان اخترع العقل كما اخترع الكلام ، لكي يمكنه التحديد والاتكاء في العالم المسرع الدوار المتلاطم ، كالخائط لا بدّ أن يقطع الثوب لكي يخيطه ، وكما نضع ثيابنا على المشاجب لكي نجدها في اليوم التالي . وقد اخترعنا

الكلام لنفس السبب ، أي لكي نميز هذا الشيء من ذاك ...

وكيف جاء العقل ؟. ما العقل غير نوع مخصص من الغريزة ، ووجه من أوجهها العديدة ، ميزته ميزة الترجمان أو دليل الآثار. أما كون الحياة تسير على هذا نخطأ . وأما كون الفن يسير على هدى العقل فمستحيل .

أما كون العقل أفاد الانسانية نخطأ ، لأنه بموقفه العلمي وثب بالانسانية في ناحية ، هي فهم أسرار المادة ، ووقف به في ناحية أخرى ، وهي فهم أسرار النفس . لأن العقل ليس السبيل الى فهم النفس وأغوارها ، فصرنا اليوم كما ترون مادة تتقدم وروحانية تتأخر .

ولقد تدخل العقل العلمي في الأدب فابتلاه بالتحليل و « التفصيص » فجعل الشكل الجميل أجزاءً منفصلة مهلهلة كجثة التشريح .

تسألونني وكيف نصنع بالعاطفة إذا جمحت ؟ أنتركها كالجواد الذي لاشكيمة له ؟

أقول ان العواطف تختلف . فأغلب العواطف كلما زادت حدَّة ، قلَّ الفعل الذي يعقبها ، ما عدا عاطفة الحب التي تزداد ميلاً الى العمل ، كلما زادت انفعالاً . والطرق التي نلجم بها العاطفة هي :

(١) ايجاد عاطفة تجاه عاطفة . كالجبن ، علاجه الخوف من كلام الناس .

(٢) الوقوف ذلك الموقف العلمي الذي شرحته Rationalisation أي التَّـعقُّـلِـيَّـة ، وهو يقود التحليل في كل موقف ، والسر في ذلك لأن تغلب العقل على العاطفـة ، بل في أن كل شخص يندمج ويبدي اهتماماً « بشرح الموقف » يهون عليه الموقف .

(٣) نجتهد في الانفصال Detachment ، وهي طريقة شرقية ، أي ان الانسان يتخلص من متاعب الجسد والأرض بالاتجاه الى الله . وان الصلاة والوضوء فيهما ذلك الانفصال الذي أعنيه ، والذي يسبب هدوء القلب واطمئنان البال . اني لا أؤمن في الحياة بفائدة العقل إلاَّ كما أؤمن بفائدة الملح للحساء . ولا أنسى قول جيته لتلميذه إيكرمان :

يجب أن « تفكر بالقلب » ...

وختاماً أرجو أن أكون قد وضحت وجهة نظري كما أحب والسلام .

ابراهيم ناجي

شجن ...

يا ليلة «الدُّلْز» قد هيَّجتِ لي شجناً   رَدّ السلوَّ مُنىً تنساب نيرانا

واشقوة الصَّب قد ثارت لواعجهُ   بعد السلوّ . سلا ؟ . ما كان سلوانا

بل هجعة الداء في الأحشاء منطوياً   آه على الداء في الأحشاء أضْنانا

بل رقدة الخنجر المغروس شفرته ، بين الضلوع رهيباً لاح غفوانا

تسلسل النغم المشجي فحرَّكهُ   بين الشغاف فأدمَى الجرح تحنانا

وهاجت الذكريات البيض ناعمةً   على الضلوع كطير رادَ أغصانا

رنَّ الصدى ، فاستطارت في جوانحه   تلك الطيوف وقد وُشِّين ألوانا

فراح ينفض ما في الذكر من شجنٍ   ويبعث الآه مِ الأغوار حرّانا

ويذكر الماضيَ المعهود ما صنعتْ   يد الزمان به ؟ .. بالله ما هانا !

تلك المشاهد قد عادت بفتنتها   كأنما الألم المرهوب ما كانا

عادت عهود الهوى . ويلاه يا كبدي !   عدنا الى الليل أنَّات وأشجانا

القاهرة   محمد فهمي

---

(١) مقصف شهير بالقاهرة

أسطورة

تنصُّر الخليفة المعز لدين الله الفاطمي

يقول أحد رهبان دير السيدة برموس في مؤلفه « الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة» (١) « إن المعزّ بعد حادثة جبل المقطم تخلى عن كرسي الخلافة لابنه العزيز بالله وتنصر ولبس زي الرهبان، وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيفين».ويذكر ألفرد بتلر في كتابه « كنائس مصر القبطية القديمة » (٢) العبارة الآتية (٣) وقد ترجمها الأستاذ عنان في كتابه « مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية» (٤) بالآتي «وفي هذه المعمودية طبقاً لأسطورة القسيس (أعني قسيس الكنيسة) عُمِّد السلطان المعزّ حينما ارتدّ الى النصرانية نقلاً عن رواية سمعها من قسيس كنيسة القديس جبريل احدى كنائس دير ابي سيفين ».

ويقول سعادة مرقس باشا سميكه عند كلامه عن كنيسة ابي سيفين (٥) « تأسست في القرن السادس ثم هدمت وتجددت في أيام المعز لدين الله الفاطمي في القرن الـ ١٠م . . . . . وبجانبها كنيسةصغيرة. . . . ومعمودية يقال ان الملك المعزّ لدين الله تعمَّد فيها سرّاً ».

---

(١) ج ١ ص ٢٤٨ طبعة سنة ١٩٢٤ م

(٢) Butler (Alfred J.) , The Ancient Coptic Churches of Egypt, Oxford 1884

(٣) «It was in this font, according to the legend of the priest, that the Sultan Mu'azz was baptized on his conversion to Christianity Butler, the ancient.. Vol I. p. 117.

(٤) ص ٧٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٣١ م .

(٥) تقويم الحكومة المصرية سنة ١٩٣١ ص ١٧١ وانظر أيضاً مؤلف بتلر السالف الذكر ج ١ ص ١٢٦ حيث يقول :

"The priest (of abu-s-sifain) added that the Khalif Mu'azz became a christian & was afterwards baptized in the baptistery beside the chapel of St. John".

أما حادثة جبل المقطم فخلاصتها كما يقول بتلر في كتابه بالعبارة (١) التي ترجمها الأستاذ عنان في مؤلفه السالف الذكر فقال: « إن الخليفة سمع بأنه قد ورد في انجيل النصارى ان الانسان اذا كان مؤمناً فإنه يستطيع أن ينقل الجبل بكلمة . فأرسل الى افرايم (ابرام) البطريق وسأله عما اذا كانت هذه القصة العجيبة حقيقية. فأجابه بالايجاب. فعندئذ قال له ، قم بهذا الأمر أمام عيني والاَّ سحقت اسم النصرانية ذاته » . فذعر الرهبان وعكفوا على الصلاة في كنيسة المعلقة. وفي اليوم الثالث رأى البطريق العذراء في الحلم تشجعه فقصد في موكب كبير من النصارى وهم يحملون الأناجيل والصلبان الى المكان المعين حيث كان الخليفة وحاشيته، وبعد أن صلىَّ البطريق رفعت الأناجيل والصلبان على دخان البخور ودعوا جميعاً فاهتزَّ الجبل، وانتقل وعندئذٍ وعد المعز ابرام بأن يمنحه كل ما طلب وأذن له في بناء كنيسة أبي سيفين » .

ولا أدل على أن هذه الرواية أسطورة من الأدلة الآتية :

١ — ان الخليفة المعز لدين الله لم ينزل عن الخلافة قط أثناء حياته بل توفى وهو خليفة

٢ — كانت الصبغة الدينية العميقة تطبع سياسة هذا الخليفة في أفعاله وأقواله . وكان يتسم بسمة الإمامة أكثر مما يتصف بصفة الملك، فكان يضرب على الدنانير مثلاً على إحدى الوجهين « لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو

“The Khalif (Mu‘azz) having heard that it was written in the gospel of the christians (١) that if a man had faith he could by his word remove a mountain, sent for the patriarch Ephraim, and asked if this strange story were true. On the patriarch answering that it was indeed so written, the Khalif replied, Then do this thing before mine eyes; else I will wipe out the very name of christian. When the tidings spread, great was the consternation among all the churches : a solemn assembly of clergy and monks was held, and prayers with fasting were continued for three days, without ceasing, in al mu‘allakah. On the third morning the patriarch, worn out with watching and fasting fell asleep, and saw in a dream the blessed Virgin, to whom he told the matter, and was bidden to be of good cheer.. bearing in procession crosses & gospels & censers.. to the place appointed, where the khalif and his court were assembld before a mountain : and when the patriarch had made solemn prayers, crosses & gospels were lifted on high amid the smoke of burning incense, and as all the people shouted together “Kyrie Eleison” the mountain trembled and removed. Thereon Mu‘azz promised to grant Ephriam whatsoever he might desire: and the patriarch demanded the rebuilding of the church of abu-s-Sifain. so the church was rebuilt”. Butler, the Aacient... Vol, p. 125.

كره المشركون » وعلى الوجه الآخر « الامام مَعَدّ لتوحيد الإله الصمد المعز لدين الله أمير المؤمنين ضرب بمصر في سنة ٣٥٨ هـ» ولقد أسبغ المعز لدين الله على الإمامة لوناً من القدسية . فنجده ينوّه بأقواله وأفعاله وكتبه بقدرة امامته الروحية الخارقة وكونها إمامة الدنيا والدين معاً(١) . وتحدثنا المصادر التاريخية انه عندما دخل قصره بمصر خرّ ساجداً لله تعالى وصلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل. ثم حمل شعار الدعوة لآل البيت ولواء الشيعة بمجرد ما وطأت قدمه البلاد المصرية فيسأل ابا الطاهر الذهلي القاضي السني عندما جلس بجانبه «هل رأيت خليفة أفضل مني » فأجابه بأنه لم يرَ احداً من الخلفاء سواه. وأنه قال عندما قابل اعيانهم « إنه لم يرد دخول مصر لزيادة في ملكه ولا لمال، وإنما أراد اقامة الحق والحج والجهاد»(٢) . ثم يأمر أئمة المساجد والمؤذنين أن يقولوا في الأذان « حيّ على خير العمل » وأن يكبروا على الجنائز خمساً وأن يقولوا « خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام » و «محمد وعلي خير البشر» الى غير ذلك من الدعوات المذهبية (٣) التي تجعل ما قيل عنه إنه تنصر سرًّا وارتدّ عن الاسلام أسطورة .

٣ — وأخيراً لو كانت هذه الرواية حقيقية لما أغفلها العباسيون أعداء المعز ولأثبتوها في مطاعنهم الرسمية كما أثبتوا عدم صحة نسبهم في سنتي ٤٠٢ هـ و سنة ٤٤٤ هـ فاغفالها منهم ومن المسلمين المؤرخين، يقطع لدينا بتزويرها واختلاقها .

ولعلّ هذه الأسباب وغيرها هي التي حملت سعادة سميكة باشا ان يوافقنا على رأينا بأنها أسطورة ، ويقرّر في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٠ اغسطس سنة ١٩٣١ بأنه سيحذفها من تقويم الحكومة في الطبعة المقبلة وقد نفذ وعده فعلاً .

والحقيقة التاريخية هي ان المعز لدين الله جرياً على سياسة التسمّح مع أهل الذمة، أذن للبطريق ابرام بتعمير كنيسة القديس مرقريوس والمعلقة بالفسطاط ، لا ايماناً بالمعجزة القبطية كما يدعون ، بل جرياً وراء سنة المسلمين وما يأمرهم به الدين الحنيف .

عطية مصطفى مشرفة

---

(١) انظر رسالة المعز لدين الله للحسن الاعصم زعيم القرامطة في المقريزي اتعاظ الحنفا ص ١٣٣ — ١٤٣.

(٢) ابن خلكان وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٥٤٨ والمقريزي اتعاظ الحنفا ص ٨٨

(٣) ابن عذارى المراكشي البيان المغرب في أخبار المغرب ص ٢٣١ والمقريزي الخطط جـ ٢ ص ١٦٧ واتعاظ الحنفا ص ٩٠

زلال الحمل

اذا كنت تريدين أيتها السيدة — وأنت تريدين بلا شك — أن تحتفظي بصحتك وتبقين سالمة معافاة ، وتقطعي مرحلة الحمل مطمئنة الفكر خالية البال بدون أن يحدث لك ما لا تحمد عقباه ، فنصيحتي اليك أن تقرئي هذه السطور وتعيريها الاهتمام الذي تستحقه . إن الموضوع الذي أريد أن أحدثك به اليوم من أهم المواضيع التي يجدر الانتباه اليها بالنظر لخطورتها ، كيف لا والزلال الذي لم يؤبه له أو لم يلتفت اليه ويعالج العلاج اللازم في حينه فمصيره السيء ولا ريب حدوث الارجاج النفاسي Eclampsie (١) الذي هو عبارة عن تشنجات مخيفة شبيهة بتشنجات الصرع أو الهستريا ، مع حدوث اشتراكات أخرى وخيمة العاقبة كالنزف وراء المشيمة وغيره ، تلك التي تعرّض حياتك وحياة جنينك الى الخطر .

فوجود الزلال في البول إبان الحمل — ذاك الذي يتسبب خصوصاً من وجود الجنين في أحشاء أمه — من العوارض المهمة الخطيرة التي يجب الاهتمام بها والعمل على ملافاتها قبل أن يستفحل أمرها ويتعذر شفاؤها . فقد تكون السيدة مصابة بزلال عرضي يتأتى عن

---

(١) يحدث الارجاج أو التشنجات النفاسية مرة واحدة تقريباً في ٥٠ ولادة ، ويغلب حدوثه بنوع خاص عند البكريات وعند اللاتي يكون عادة الرحم عندهن متمدداً وانقباضاته شديدة . ويساعد على حدوثه في أثناء الحمل وجود الزلال والتورم . ويظهر المرض في بعض الاحيان في ساعة الوضع ، وقد يظهر في مدة الحمل أو فقط على أثر الولادة ، وقد يكون ظهور الارجاج أيضاً من غير أن تسبقه أعراض منذرة .

ويستنتج من بعض الاحصاءات الرسمية ان على ٣١٦ حالة من هذا المرض عند الحوامل : ١٩٠ منها كان حدوثها في أثناء الوضع ، و ٦٤ على أثره . وفي النادر أن النساء اللاتي أصبن بالارجاج مرة يصبن به أيضاً في الولادات التالية . هذا وللوراثة بعض التأثير في إحداثه . فقد ذكروا أن عائلة بكاملها قد أصيبت به (الام وابنتاها أولا) ، ثم الابنة الثالثة من نفس العائلة وهي في الشهر السادس من الحمل وقد نالت الشفاء . وأخيراً الابنة الرابعة : وهذه لم يظهر عندها في أثناء الحمل أية علامة لوجود الزلال في البول ، لكنه ظهر عندها فجأة قبل الولادة بخمسة عشر يوماً بنسبة عالية مما أدى الى وفاتها نتيجة التشنجات التي حصلت عندها في بداية الوضع .

الحمل ويزول بعد الولادة ، أو بزلال كان موجوداً عندها قبل الحمل كمرض برايط مثلاً Maladie de Bright وهذا يكون للسيدة ولذويها علمٌ به من طبيبها المعالج وتبقى مستمرة على اتباع المداواة نفسها كما كانت قبل الحمل . أو أخيراً تكون مصابة بزلال منشؤه التهاب أو مرض آخر في الكلى يعود سببه الى البرد او الى الاصابة بالحمى القرمزية أو الى عدوى أخرى وقعت قبل الحمل أو في أثنائه . فهذه الحالات لا تهم كثيراً ، غير أنه يجب الالتفات اليها لأنها تزيد عادةً في وطأة الزلال عند الحامل . ولكن أكثر حالات الزلال خطورة هو الذي يتسبب ، كما قلنا ، من وجود الجنين في أحشاء أُمه ، وتبدو حينئذٍ نتائجه الوخيمة سواء قبل الوضع أو في أثنائه ومنشأ ذلك كله امتصاص الدم للسموم التي تسبّب تلك التشنجات . والزلال نفسه نراه يزداد في أثناء الحمل من البداية إلى النهاية ، ويساعد على حدوث نزف دم غزير عند الحامل ممَّا يضع الطبيب المولّد في مأزق حرج ولا يدري ماذا يعمل في غالب الأحيان حيال هذه الحالة ولا سيما حيال أعراض التشنج المشار اليها .

﴿ أعراضه المنذرة ﴾ : أهم العلامات التي تنبئنا بوجود الزلال في البول بصورة لا تقبل الجدل هي أنه في كل مرة تأتي اليك حامل وتشكو تعباً زائداً في جسمها ، وصداعاً مستديماً وأوجاعاً في أسفل البطن وفي منطقة الفقرات القطنية ، واختلاجات عضلية ، ودوار ، وتشوشات الرؤية ، والتقزز وفقد الشهوة إلى الطعام ، والقيئات . ولا سيما وجود تورم في الوجه والجفون واليدين والرجلين مع إزدياد في ضغط الدم فيجب حينئذٍ أن تشكّ في أمرها ثم تأتي بعدئذٍ نتيجة فحص البول الايجابية فيتأيد لك إذ ذاك أن السيدة المشار إليها مصابة بالبيلة الآحينية Albuminurie . وليس ضرورياً أن تكون جميع هذه العلامات موجودة للاستدلال على وجود الزلال في البول ، بل أن علامتين أو ثلاثاً منها تعتبر كافية لتحذيرنا وتنبيه فكرنا للقيام بالواجب والعمل سريعاً على ما تتطلبه الحالة من العلاج .

ومما تجب الاشارة إليه هو أن زلال الحمل لا يرافقهُ في غالب الأحيان أي أذىً أو التهاب في الكلى . ولذا نجهل السبب الحقيقي لوجوده في البول : هل إن ذلك عائد إلى استعداد خاص في مزاج المصاب ، أو إلى رداءة حالته الصحية ، أو إلى وجود عائق ميكانيكي عنده (ورم مثلاً) أو أخيراً إلى ضغط دم ؟ الخ الخ . والغالب أن امتصاص الدم للسموم إبان الحمل ، كما قلنا ، هو الذي يسبب تلك الحالة الخطيرة عند بعض الحوامل .

﴿ سيرهُ ﴾ : يختلف هذا باختلاف حالة المريض ، ففي بعض الأحيان يكون الزلال عرضيًّا وتزول أعراضهُ بفضل المداواة والعلاج ، وإن كان يعتري الحامل أحياناً بعض أدوار

خطرة نسبيًّا . وفي أحيان أخرى يأخذ المرض شكلاً متقطعاً ، وتظهر فعلاً على الحامل أمارات التحسن أو الشفاء ، لكنه يعيد الكرة ثانية ويفاجىء الحامل أو يهاجمها في كل حمل جديد ، فهذه الحالة هي التي يُلاحَظ فيها خصوصاً موت الجنين في خارج الرحم ، وإذا وُلد هذا فيكون هزيلا ضعيفاً ناحلاً . ومع ذلك فهو ينمو ويترعرع في المستقبل كالأطفال الآخرين .

﴿ علاجه ﴾ : تدابير واقية : يتحتم على كل حامل مهما كانت حالتها الصحية أن تفحص بولها فحصاً منتظماً حينما تشعر بحملها للتثبت من وجود الزلال فيه أو عدمه ، وتستمر على هذا الفحص طيلة مدة الحمل دفعاً للمفاجآت والاشتراكات الخطيرة المعرَّضة لها ، وبذلك تبقى في حرزٍ حريز من غوائل هذا الداء وتصون حياتها وحياة طفلها . وهو لعمرُ الحق أمرٌ بسيطٌ جداً بحدّ ذاته، لكنه ضروري في أهميته. ولحسن الحظ نرى كثيرات منهنَّ يدركن هذه النقطة الهامة ويبادرنَ حالاً لمراجعة الطبيب لمعرفة ما اذا كان يوجد عندهنَّ زلال في البول مهما كانت أسبابه وبواعثه . وعلى كلٍّ يجدر بكل حامل أن تراجع الطبيب في مدة الخمسة أشهر الأولى مرة في كل شهر . وفي الشهرين السادس والسابع مرتين شهريًّا ، وفي الشهرين الثامن والتاسع مرة واحدة في كل اسبوع . وتستمر على ذلك ما دام الزلال موجوداً وعندما تكون نسبة الزلال عالية في البول فعليها ألاَّ تتناول سوى اللبن الحليب لمدة ثمانية أيام وتتجنب جميع المواد الزلالية كالبيض واللحوم . وإذا كانت نسبة الزلال في البول خفيفة فتبقى مستمرة على تناول الحليب كالعادة ويُسمح لها في الوقت نفسه بأكل الخضار والبقول واللحوم البيضاء (كالاسماك والدجاج ولحم العجل والحمام) والفواكه بكثرة ، وتشرب الشاي والقهوة الخفيفة . وإذا تعذر عليها تناول اللبن الحليب وحده فيمكنها أن تستعيض عنه بماء أفيان أو ماء فيشي وغيرهما من المياه المعدنية ، أو أن تتناول اللبن الحليب ممزوجاً بالمياه المعدنية. وانتتحاشى كذلك الأطعمة المملَّحة مهما كانت نسبة الملح فيها ضئيلة ، وتحترس خصوصاً من البرد ، وتستعمل المسهلات بين وقت فآخر ، وتكون حياتها مريحة هادئة .

فاذا اتبعَتْ هذه الارشادات بدقة وعناية تبقى في مأمن من ويلات هذا الداء الذي طالما أودى بحياة الكثيرات منهنَّ نتيجة الجهل والاهمال .

الدكتور عبده رزوق

طبيب مستشفى الميناء والملاحة بالفاو — (العراق)

تجنب الامساك

أن المدنيـة جعلت حياتنا أكثر رفاهية ، ولـكنهـا عند ما مدت يدها الى أطعمتنا الطبيعية أفسدتها ، لانها سلبت منها أهم العناصر الغذائية فترتب على ذلك اصابة اكثر من ٦٠ فى المئة من الناس بالامساك.

ولقد صـدق الدكتور « ريجز » بقوله : « ان الامساك آفة المدنيـة » ، لان الانسان البدائي ، الذي يعيش فى الغابات لا يصاب به ابداً ، إذ يعتمد فى غذائه على الخضر ، والفاكهة وغيرها ، من الاطعمة الطبيعية التى لم تصقلها المدنية بيدها الآثمة.

والامساك هو بقاء نفاية الاطعمة مدة طويلة فى الامعاء ، فيمتص الجسم السموم التى تتولد من تخمر هذه المواد وتعفنها ، وينشأ من ذلك حموضة فى الجسم تسبب أكثر من ٩٠ فى المئة من أمراض الانسان المختلفة.

ولازالة الامساك اتبع ما يأتي :

١ — دع حياة الكسل جانباً ، وتحرك كثيراً ، وباشر الالعاب الرياضية ، لا سيما ما كان منها مقوياً لعضلات البطن.

٢ — عند ما تحس بنداء الطبيعة لقضاء الحاجة لب هذا النداء سريعاً ولا تؤجله .

٣ — لا تحرق أنسجتك بعدم تناول المقادير الكافية من الماء يومياً .

٤ — لا تكثر من أكل المواد النشوية كالخبز الابيض ، والارز ، والكرنب .

٥ — تجنب السكر الابيض ، واستبدله بالعسل الاسود ، او عسل النحل .

٦ — لا تضف الى طعامك الفلفل ، والشطة ، والتوابل ، والخل ، والمستردة .

٧ — تناول اطعمة تحتوي على ألياف كالخس ، والفجل ، والجزر ، واللفت ، والبنجر .

٨ — امضغ أكلك جيداً .

٩ — اذا أكلت فلا تشبع .

١٠ — لا تتناول عقاقير مسهلة .

فهمى عطا الله

رأي في موضوع اجتماعي تاريخي

نشأة الطغيان

وصلته بالتجارة

حين بلغت الجمعية البشرية طوراً عرف الانسان عنده حرث الأرض بعد أن هدته سجيته الى قنص الحيوان ، كان طابع الحياة الاجتماعية أقرب ما يكون الى الديموقراطية المثالية التي ينشدها الناس في العصر الحاضر ، والتي كان عليها بعض قبائل البدو في الأزمنة الغابرة على ما نعرف . أو لعلَّ الحياة القائمة وقتئذٍ كانت في مبناها ومرماها أقرب شيئاً مَّا الى نظم الاشتراكية ، البريئة من دنس الاستغلال أيًّا كان نوعه ، والتي عاشها أقوام في مختلف العصور ، هذا إذا لم يكن للحياة في ذلك العصر المتناهي في القدم نظام شبيه بالشيوعية التي عملت الجمهوريات الروسية ، وما زالت تعمل على تحقيقه منذ نهاية الحرب العالمية الماضية .

وليس الغرض هنا تحقيق شيوع هذا النظام أو ذاك في العصور المتقادمة ، ما دام الثابت لدينا أن الجمعية البشرية في بدء تكوينها لم تكن تعرف معنى التحكم أو التملك أو الاستغلال إذ هي لم تمارس شيئاً منه . وظلت الحال كذلك بعض الحين الى أن تحولت الأمور وفرضت الحياة على الناس التفكير في استنباط أدوات يستعان بها على قنص الحيوان وزرع الأرض ووقاية الجسم من حرارة الشمس وبرد الجو وغير ذلك مما دعت اليه الحاجة . فلما اهتدى الانسان الى اختراع أو اكتشاف يفيده في تحقيق مطالب الحياة عنده ، تنازعه عاملان : أحدهما الاحتفاظ بسر ما وجد ، والثاني التفاخر بما قد وفق الى اختراعه أو اكتشافه . وكان من أثر العامل الأول أن انبعث في نفسه لأول مرة حب الاستئثار بما صنع ، ومن ثمَّ نشأت في نفسه شهوة الامتلاك . وكان من أثر العامل الثاني أن حاول كل من آنس في نفسه المقدرة ، محاكاة عمل المخترع أو المكتشف ، ومن ثم بدأت أول نهضة للصناعات اليدوية عرفها التاريخ.

ولما تكاثر عدد الصناع وتنوَّعت الصناعات وتمايزت المصنوعات ، بدأ التعامل بين الناس على أساس التبادل النزيه: ولم يعدو الأمر بادىء ذي بدء تبادل الضروريات وأخصها القوت واللباس . فلما كثر هـذا التبادل عرف الناس الأسواق ، وعرضوا فيهـا بضائعهم فاشتدت شهوة الامتلاك في النفوس ، وعمد كل شخص إلى أن يعمل العمل الذي يحـذقه ، أو ظن أنه حاذقه ، ليحصل آخر الأمر على أحسن ما يجد من ضرورياته . غير أن التملك لم يظهر ظهوراً جديًا إلاَّ بعد أن بدأت العائلة تتكوَّن على النحو الذي نعرفه اليوم . ومن ثمَّ انقلبت نظام الجمعية البشرية العتيق رأساً على عقب ، إذ أصبح التملك بغية كل فرد في المجتمع ، بعد أن كان مجهولاً من قبل .

ولا شك أن بعض المقايضين سوَّلت لهم أنفسهم يوماً غبن غيرهم ، فعمدوا إلى الكذب أو الخديعة ليحصلوا على ما تصبو اليه نفوسهم من متاع لا تجيزه قيمة السلعة التي يعرضونها. ولما وفقوا في ذلك في المحاولات الأولى استطابوا هذا الضرب من العمل ، فأخذوا يزاولونه كلما سنحت لهم الفرصة بذلك ، بل عمدوا إلى تهيئة الأحوال التي تتيح لهم ذلك . وكان أن حذا حذوهم كل مقايض استهوته هذه البدعة فاستساغها ، وقبلت نفسه النزول على أحكامها . وهكذا انقلبت الآية وانهزمت المبادلة النزيهة أمام صناعة جديدة هي التجارة .

ولعلَّ التاجر كان في مستهل الجمعية البشرية أول من نفذت له مشيئة على عدد من الناس لا تربطه وإياهم صلة العائلة ، تخضع لمشيئته من كان يتعامل معه . ذلك لأن أنانيته كانت تدفعه حتماً إلى بخس الناس أشياءهم ، إذا ما عرضت عليـه لشرائها ، ثم العمل على رفع قيمتها حين يرغب نفر آخر فيها . وكذلك كان التاجر دون ريب أوَّل من تحكم في البيئة الأولى للبشرية . وأغلب الظن أن التجارة كانت السبيل الوحيد لمن أثرى في بدء حياة الجمعية البشرية . ولما أحسَّ التاجر بأن مشيئته نافذة أخذ يبسط سلطانه ونفوذه شيئاً فشيئاً في الوسط الذي كان يعيش فيه . وبديهي أن يكون أكبر التجـار ثروة أوسعهم نفوذاً . وهكذا مهدت طبيعة الأشياء لرأس التجار في ظل النظام الجديد أن يتحكم في أفراد الجمعية البشرية الأولى .

وإذا كان قد غابت عنا مذاهب قدماء المصريين في هذا ، فقد وقفنا على رأي ارسطوطاليس وهو الذي أخذ كثيراً من قدماء المصريين . ويتفق رأيه هذا الذي أورده في كتاب السياسة

مع ما ذهبنا إليه . وكان أن جاءَ بعد ارسطوطاليس نفر من العلماء والوا البحث والاستقصاء في ما أجمله . وكان انجلز أكثرهم توفيقاً فيما ذهب اليه من تعليل سر تكوين العائلة وسر تطور المجتمع ، كما كان كارل ماركس أنفذهم بصيرة في هذا الميدان . إذ جاء بنظريته في التفسير المادي للتاريخ ، فتبين الناس سرّ كل تطور في أمور حياة البشر .

***

وإذ كان ارسطوطاليس قد فطن إلى تأثير الناحية الاقتصادية في مجرى تطور البشرية ، فان الأقدمين من مؤرخي اليونان أمثال أفلاطون وهيرودوتوس وثوقيديدس لم يدركوا أصالة هذا الرأي البتة ولم يكتبوا لنا تاريخاً اقتصاديًّا ، بل ذهبوا فيما كتبوه إلى أن رجل الحرب وحده ،هو الذي كان له النفوذ والسيطرة في المحيط الذي عاش فيه . وشايع هؤلاء المؤرخون الأقدمون جماعات في كل عصر ، حكموا على الأشياء بحسب ظواهرها . وفاتهم أن رجل الحرب في الأزمنة الغابرة ، حين كانت الجمعية البشرية في بدء تكوينها ، لم يكن له من ميزة على غيره ، إلاّ بقدرته على الحرب والغزو وجلب السبايا والأرقاء والأسلاب ، كي يبيعها للتاجر مقابل سلع أخرى عنده ، كان يطمع في الحصول عليها . وإذ كان هذا كذلك ، فقد فتح رجل الحرب للتاجر ميداناً جديداً للكسب والثراء ، وبالتالي لبسط نفوذه وامتداد سلطانه . ذلك لأنه كان يسخّر السبايا والأرقاء فيما يشاء من عمل يعود عليه وحده نفعه . ولما رأى التاجر أن هذه وسيلة مجدية لكسب ثروة كبيرة ، عمد الى مضاعفة العمل في هذا الباب . ولجأ الى الحيلة فأغدق سلعه على من كان يستضعفه حتى إذا ما عجز عن أداء ما يوازي قيمتها من صنعه ، أو إنتاجه ، استأثر به التاجر لنفسه ليعمل مع الأرقاء فيما يريده سيده . وهكذا نشأ الاستعباد أول ما نشأ فيما نظنه .

ولم يكن هذا كل ما وصل اليه التاجر بواسع حيلته ، إذ جرّه دهاؤه الى أن يقرّب رجال الحرب منه ، ويحبّبهم الى نفسه ، ويمدَّهم بما تطيب اليه نفوسهم من سلعه ، ويغريهم بالاستمتاع بها . فاذا عجزوا عن أداء ما يوازي قيمتها مما ملكت أيديهم أو امتلكوه من عرضٍ زائل ، حرّضهم على الحرب والغزو ، بل وطالبهم به ليجلبوا له السبايا والأرقاء والأسلاب . فيؤدوا بذلك ما عليهم من دين ويزيد ، وأغلب الظن عندي أن كان هذا أول

عهد الناس بالاستدانة . ومن ثمَّ أصبح لرأس التجار عبيد وأرقاء من أسرى الحرب وأنصاف عبيد من المحاربين .

وكان كلما تقدَّم الزمن ازداد رأس التجار شراهة وجشعاً فتعدَّدت حيله ، وتفاوتت أساليبه ، وتنوَّعت سلعه ، وتزايد أرقاؤه وعبيده وأنصاف عبيده ، وكثرت أملاكه الثابتة والمنقولة ، وتجاوزت تجارته المنتجات الزراعية الى المنتجات الصناعية ، وخرج من امتلاك الأراضي المزروعة الى امتلاك المصانع والمحاجر والمناجم ، ونظر الى وسائل النقل في البر والبحر فهيمن عليها ثم استأثر بها . هذا ما كان من شأنه . وكان كلما ازداد التاجر غنىً ، ازداد سلطانه على أفراد الجمعية البشرية التي كان يعيش فيها . بل وسعى الى الاستئثار بذلك السلطان سعياً حثيثاً . وسرى نفوذه شيئاً فشيئاً من ميدان عمله التجاري الى الميدان الاجتماعي . كذلك ارتقى نفوذه وسلطانه من الميدان التجاري الخاص الى الميدان الاقتصادي العام . ثم ما لبث أن سرى نفوذه إثر ذلك الى الميدان السياسي .

وإذاً فلا عجب أن نرى بعد كل هذا الذي وضح لنا ، أن أغلب الحكام في مختلف بلاد العالم كانوا في مستقبل المدنيات ومستهلها تجاراً في الأصل . فلما أن بذوا غيرهم ثراءً وسلطاناً انقادت لهم الأمور وصاروا حكاماً . وقد امتاز نوع حكمهم بالاستبداد . وطبيعي أن يكون كذلك ، إذ كان الواحد منهم يرى في نفسه ، المسخر للأقوياء من شعبه ، المتحكم في حاجياتهم أجمعين ، الحاكم في شعبه بأمره هو لا بأمرهم ، المطلق التصرف في شئون هذا الشعب ، غير المسئول عما يفعل ، أو هو الطاغية ، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . وان شئت اصطلاحاً سياسيًّا حديثاً فهو الديكتاتور الذي يمثل ديكتاتورية الفرد .

هذه هي نشأة الطغيان وصلتها بالتجارة ، وما كان من شأن الثروة اذا امتلكها الفرد ، وشأن التاجر من الجمعية البشرية الأولى ، ومقامه الاجتماعي فيها ، وسلطانه السياسي عليها قبل أن تعرف العملة . ومذ اخترعت العملة أصبح للثروة ، وأصبح للمموّل شأن آخر نعرض له في فرصة أخرى .

ابراهيم ابراهيم يوسف

القنبلة الذرية

والظواهر الروحية

ان التقدم الحديث الذي بلغه الانسان في تسلطه على الطاقة الذرية يقرب إلى حدٍّ كبير جداً فهم كثير من الظواهر التي تحدث في حجرة تحضير الأرواح . ولقد استطاع رجل العلم بمتابعته البحث في صيغ الطاقة الذرية المختلفة أن يستحدث مواد جديدة لها جهود جديدة ، كالمواد الشعاعة والمفرقعات وما إلى ذلك. وهو بتناوله تلك الطاقات يصل إلى نتائج خاضعة لقانون.

والقول بأن الانسان بمعرفته المحدودة بتلك الطاقات الأولية قد استطاع أن يستخدم الالكترونات والنيوترونات والبروتونات في استحداث صيغ جديدة من المادة — هذا القول يدفع بكثير مما يحدث في حجرات تحضير الأرواح الى داخل حدود إدراك الانسان وفهمه . ففي حجرة تحضير الأرواح تهيأ الظروف التي تساعد على خلق المادة الذرية، كما نرى في تجسد روح تجسداً مؤقتاً ، وكما نرى في تكوين الأجهزة الاكتوبلازمية . وكل ما يتكوّن على هذا النمط ذري في تركيبه ، ويكون ذا وزن . وأحياناً يكون ذا كثافة كبيرة ويكون له غير ذلك درجة حرارة . ويمكن بسهولة فهم سرعة تبدد المواد أو الأجسام المستحدثة تبدداً فجائيًا بأن القوة « الماسكة » قد انسحبت فعاد القالب المتجسد ثانية إلى الطاقات الأولية التي منها نشأ وتكوّن .

ولقد حدث هذا في حجرات التحضير الروحية ألوف المرات ، وله ما يقابله في القنبلة الذرية التي تنساب منها طاقتها عند انفجارها فتحطم المكوّنات الذرية الأخرى وتعود بها إلى صيغها الأولية الأولى . والفرق الكبير الهائل بين ما يحدث في حجرة التحضير وما يحدثه انطلاق القنبلة الذرية هو أن الأول مجهود انشائي محكم مضبوط يتم بسهولة وبشكل طبيعي تحت إشراف الأرواح العاملة ، وأن الثاني مجهود إتلافي استخدم فيه ألوف العمال وألوف الأطنان من المواد الغفل (الخامات) .

ولو كان العلماء الماديون وجهوا اهتمامهم مخلصين لفهم وتفسير العمليات الروحية التي تجريها الأرواح بدلاً من قولهم عنها إنها مستحيلة وضد القوانين التي تحكم المادة ، وانها وهم وخداع وانخداع وتدليس . . الى آخر ما يقولون — لو أن ذلك حدث لما وجه نجاح البحث العلمي الى تدمير الانسانية بل كان وجه الى زيادة توطيد خير مصالح الأسرة الانسانية كلها .

وكثيراً ما لوحظ في عمليات العلاج الروحي اختفاء أنواع من النموّ والأورام الخبيثة السرطانية والتكوينات العظمية ، بل كثيراً ما شوهد حدوث برء مفاجىء لأمراض مستعصية كالتهاب العمود الفقري مثلاً ، أو لكسر قائم دون مراعاة للعامل الزمني . وهذا مستحيل في نظر الطب ، ولكنه أصبح اليوم أمراً ممكناً من الوجهة العملية في ضوء البحوث العلمية الحديثة التي منها إمكان تبادل التحول بين الطاقة والمادة .

فاذا ما أزال الروح المعالج أي خلل في جسم المريض فمعنى هذا أن تغيراً ذريًّا قد حدث وهذا التغير لا يمكن أن يكون إلاّ في التكوين الذرّي للخلايا التي منها يتألف منسوج الجسم الآدمي . ويقول العلم بامكان الحصول على تغير منتظم إذا ما تعاونت خاصية ذرية مع أخرى . ويقول كذلك إنه بانقسام القوى الذرية يمكن الحصول على التأين والاستقبال في اللاسلكي . فاذا كان الانسان بعلمه المحدود قد استطاع أن يصل الى هذا فهل يكون غير معقول أن تحدث تغيرات في التكوينات الذرّية والاتحادات في داخل جسم الانسان لكي تزيل مرضاً ما ؟

ان العلميين هم المختصون ببحث القوى التي تعين رتب الذرّات المتعددة ، وان درسهم المطرد سيدفع بهم الى الطريق الذي رسمته لهم من قبل الأرواح المرشدة . وسينتهون الى أن كل طاقة ذرية ما هي إلاّ إشعاع أثيري خاص . وسيعلمون أن قوًى كالمغناطيسية ، واللاسلكي ، والضوء الكهربي ، وقوة التماسك ، . . الى آخر ما هنالك ، ليست في ذاتها إلاّ مجرد اهتزازات في الأثير المعتبر بحق مادة الكون الأساسية .

وما كانت تلك القوى الأثيرية ولا استخدامها وقفاً على بني الانسان المتجسدين في هذه الدنيا يتوارثونها جيلاً عن جيل ، بل يستخدمها كذلك غير المتجسدين منهم ، ونقصد بهم الأرواح الذين انعدم تقيّدهم بحدود تلك الجسوم الفيزيقية والدولة الفيزيقية كلها . وهؤلاء

دون شك أقدر على توجيه هذه القوى الرئيسية وقوْدِها . وخذ مثلاً لذلك ظواهر العلاج الروحي وأحداث حجرة تحضير الأرواح .

وقد يكون أعسر أعمال الأرواح على الفهم ذلك العلاج الروحي الغيابي الذي يتم عن بعد — ولكنه دخل الآن ضمن نطاق المعقول . ويبدأ العلاج الروحي بارسال القوة الروحية أو الأشعة الروحية خلال ترنيم الجزء الروحي من الوسيط المعالج مع المعالجين من الأرواح أنفسهم ، فيستطيع هؤلاء توجيه القوى اللازمة للحصول على ازالة المواد الذرّية غير المرغوب فيها ، ثم على الشفاء وذلك بتغيير الخلايا المتأثرة ..

ونراهم يقولون ان الجهود التي أسفر عنها انفاق مبلغ خمسمائة مليون جنيه في البحوث الذرّية قد خطُت بالعلم قدماً في خمس سنين ما كان سيبلغه بعد مائة سنة . ولكن لو أنه بذل عشر هذا المجهود من جانب الخبراء الماديين من رجال العلم والطب في محاولة تفهم ما تعمله الأرواح العاملة في هذا الصدد لتغير حال الانسان ولتقدّمت الانسانية تقدماً عظيماً .

فالسرطان مثلاً ما زال في نظر الطب لغزاً . وحين أدلى الأطباء المقيمون في عالم الروح برأيهم في أسباب هذا المرض وفي علاجه لم تستسغ هذا الرأي عقول البحّاث المقيمين في عالم المادة لأن مرحلة علمهم الحاضرة لم تؤهل عقولهم لإدراك هذا الرأي . ولقد قالت الأرواح في رسالة بعثت بها الى الطبيب الانجليزي الدكتور مارشال في سنة ١٩٣٩ إن سبب السرطان تغيرات بيولوجية كيماوية أهمها تكوين أكسيد الحديديك في الدم ، وان العلاج المقترح لذلك هو استعمال الثوريوم وكلورور الحديديك . وأسفرت التجارب عن إخراج دواء ناجع يتألف من حقنة من تركيب للثوريوم تتلوها سلسلة حقن من تركيب غروي لكلورور الحديديك . وبناءً على هذه النظرية يكون التجريب في الحيوان عديم النفع بصدد السرطان الآدمي لأن العمليات البيوكيماوية في الحيوان تختلف عنها في الانسان حيث لا يتكوّن في دم الحيوان أكسيد الحديديك . وقالت الأرواح كذلك إنه يمكن علاج أنواع النموّ السرطاني إذا لوحظت في الوقت الملائم وهي في طورها المبكر ، بشرط أن لا تكون قد تعرّضت لأنواع العلاج الأخرى وعلى الأخص الراديوم والأشعة السينية القوية .

حين قالت الأرواح هذا لم يستسغه البحث الطبي ، ولم تنشر المجلات الطبية الانجليزية هذا

الرأي ، وشذّت عنها مجلة واحدة هي مجلة « العالم الطبي Medical World » فنشرته . وبرغم نجاح جميع التجارب في هذا الصدد ما زال التعنت قائماً مع أن الأجدر بالاطباء في جميع بقاع الارض أن يجربوا هذا العلاج . ومن ذلك يتضح أن مقدرة الأرواح على ايصال المعرفة الينا محدودة إزاء تقدم العلوم في عالمنا . ولو كان هناك تعاون صادق بين العلماء الماديين والروحيين لتقدّم العلم متجهاً دائماً أبداً الى الخير ، وما احتيج الى ابتكار مدمر كالقنبلة الذرية

الطاقة الذرية في الماضي

ترى مَنْ مِنَ العلماء كان أول كاشف ومختبر للطاقة الذرية ؟ الذي نعرفه ، وان يكن غير شائع ، هو أنه في سنة ١٨٨٥ استكشف العالم الامريكي الروحي الاستاذ ج . و . كيلي Prof. J. W. Keely أحد علماء فلادلفيا سر الطاقة الذرية العظيم . ونسوق فيما سيجيء بعض الحقائق غير الشائعة إحياءً لذكرى هذا العالم الكبير الذي نعته بعض المفتونين في زمانه بالدجال المجنون . ولقد جهر غيره وقتذاك من علماء العلوم الغامضة بأن الطاقة الذرية الخفية أمرٌ حقيقي ، وكانت مدام بلافتسكي من بين هؤلاء العلماء ، ولكن العالم لم يكن مستعداً لكي تنطلق فيه هذه القوة الديناميكية الهائلة من عقالها .

ونشرت جريدة « التيمس » الاميركية بتاريخ ٦ مارس سنة ١٨٩٨ بياناً بامضاء كيلي يقول فيه « بعد مجهود استغرق ٢٥ عاماً وصلنا الى حل مسألة استخدام الاثير الذي هو في الواقع الوسيلة الوحيدة لهذه القوة التي استكشفتها . وسوف تستخدم هذه القوة لمصلحة الانسانية في الأعمال التجارية. اليوم قد تمت تجاربي ، واليوم أنجزت عملي » .

وحدث وهو يكافح في سبيل الهيمنة على هذه القوة الهائلة أن حدث انفجار أطار فيما أطار ثلاثاً من أصابعه . وثار لغط وغمز ولمز حين جهر بأنه تلقى المساعدة من عالم الروح فكشف ما كشف ، واستخدمت كل وسيلة ممكنة لمهاجمته ومعارضته كما هو الحال في مصر . وخاصة من جانب الامعات الجهلة أو أدعياء العلم المتطفلين على موائده الذين يهربون من النقاش العلمي ويلجأون إلى المهاترات فيمر بها الناس « باسمين » . ولكن العلماء العلميين كانوا أيام كيلي أمام أمر تجريبي واقع فوضعوا كما يقال بياناً صادقاً عن كل ما تمّ ، ولكننا مع الأسف لا نرى ذكراً لاسم كيلي اليوم !

وحدث أن زار العالم الفيزيقي الحكومي الأستاذ و . لاسلز سكوت W. Lascelles Scott

من علمـاء فورست جيت Forest Gate معهد كيلي ومعمله ، فكتب في صحيفة ببلك لدجر Public Ledger التي تصـدر في فيلادلفيا يقول : « ان مستر كيلي قد أظهر لي عمليًّا بشكل لا يمكن الاعتراض عليه وجود قوة كانت مجهولة حتى اليوم وكانت الاحتياطات بحيث تمنع كل مكنة للحصول على نتائج من التي يحصل عليها بأي منبع قوة عادي »

غير أن الحكم المبتسر والجهل قد حالا وقتذاك دون البحث ومتابعته . وإلى القراء آخر ما قاله كيلي الذي أدركته منيته في تلك السنة : —

« لم أصل بعد الى قدرة كتلك القدرة التي بلغتها هـذه الآلة بطريق الاشعاع الروحي السماوي الصادر من روح المادة ، والمنبثق من قوى الخالق جلّ وعلا الذي أنا آلة من آلاته وإنني لأعرف الروح المرشد الذي يقودني والذي يوجه كل شيء في سبيل الخير » .

مفترق طرق القدر

لقد دفعت القنبلة الذرية بالانسان من عجب الى فزع ، ومن حيرة الى ذهول ، وسواء أقوبلت بالترحيب لانهائها الحرب اليابانية بسرعة ولما ينتظر لها من أثر في خلق عهـد جديد للصناعة ، أم قوبلت بالفزع بسبب الدمار الشامل الذي أحدثته فان هناك إجماعاً على أن الانسان يقف الآن في مفترق طرق القدر .

وقد يحتج القادة الدينيون من جميع الملل والنحل ولكن احتجاجهم يكون غير منطقي . ذلك لان فلسفة التدمير بالقنابل أو أدب التدمير بالقنابل — ان كان للتدمير فلسفة أو أدب — لا يتوقفان على عدد الذين يقتلون من الناس . فأين التفاضل هنا إذزوأين الفضيلة؟ أيحق للقنبلة يا ترى أن تقتل ألفين ولا يحق لها أن تقتل مائتي ألف ؟ ان الفضيلة هنا لا تعنى بالأعداد ولكنها تعنى بالمبدأ الفلسفي الأدبي الذي يوجد في التدمير بالقنابل .

ومما دهش له البحاث الروحيون ذلك التهليل الذي قابل به العالم كله القنبلة الذرية على حين أن قليلين من الناس يفهمون القواعد العلمية الخاصة بتكوينها ثم انطلاقها ، وعلى حين أنه من نحو قرن تقريباً قال الماديون إن الظواهر الروحية لا يمكن أن تحدث لأنها « مستحيلة » . بل لقد غالى بعضهم فقال انه لا يصدقها حتى ولو رآها بعينيه !

ان الأرواح العاملة على إحداث مختلف الظواهر الروحية قد كشفت واستخدمت منذ سنين كثيرة منبع طاقة بدأ العلماء الماديون يعترفون بها . فتحريك مائدة أو بوق دون وسيلة مادية ملموسة ، وطيران انسان وهو واقع في غيبوبة ، وحدوث ظاهرات الصوت المباشر والتجسد أي اسماع الناس أصوات أرواح الموتى وإظهارهم متجسدين ، وجلب مجلوبات من أقاصي الدنيا الى حجرة التحضير المقفلة في لحظات ، وخروج وسيط حي من بين جدران مكان أو صندوق حديدي مغلق ومراقب — أي تمرير مادة خلال مادة ، كل هذه الأحداث تشير الى استخدام نوع من طاقة لم يستطع بعد سكان هذه الأرض الوصول اليها واستخدامها .

والمسألة التي أثارتها القنبلة الذرية بين الناس اتخذت لها شكلاً أدبيًّا بحتاً . والمعروف أن العلم بحث متواصل وراء المعرفة . والتقدم العلمي لا يمكن أن يقف لأن كشفاً من كشوفه قد استخدم في التدمير ، فليس من أخطاء رجل العلم أن تقدُّم الانسان الأدبي والخلقي لا يساير الكشف العلمي . وفي هذه الناحية تقوم الروحية بأكبر واجباتها . ولا ننسى أنه قد مضت سنون على رجال الدين ورجال العلم وهم في حرب وخصام . وها نحن اليوم نرى أن هؤلاء المتدينين البلهاء الذين أصروا على مناهضة العلم جهلاً بالدين وبالعلم قد تقهقروا لأن دعاواهم قد فضحت ، ولأن زيف تعاليمهم قد رفع عنه النقاب .

ولكن العلم بغير محرك ديني يدفع الانسان الى اساءة استعمال كشوفه واختراعاته . وكما أن الدين يحتاج إلى أساس علمي كذلك يحتاج العلم الى محرك ديني . ولن نجد هذا إلاَّ في الروحية التي هي في الواقع دين قد ثبت علميًّا ، وعلم له استدلالاته الدينية . والروحية هي التي تمكن الدين والعلم من السير معاً . وقد تحقق كل منهما الآن أن هذه المشاركة لازمة لخدمة البشر . وما كان تاريخ الانسانية إلاَّ قصة اقتناص الانسان أسرار الطبيعة ، وأما استخدام هذه الأسرار فيتوقف على الجانب الروحي من طبيعته وعلى درجة مسايرة هذا الجانب للكشوف العلمية .

احمد فهمي أبو الخير
مدير السينما الثقافية بوزارة المعارف

……

(مراجع هذا البحث مجلة سايكك نيوز)

حكم المقتطف(١)

لو أخذ الله الحق المطلق في يمناه ، والشهوة المتوثبة إلى البحث عن الحق فى يسراه ، ومعها الخطأ لزاماً لي ، وقال : اختر . إذاً لجثوت ذليلا عند يسراه ، وقلت : يأبي : أعط ، إنما الحق المطلق لك وحدك .

جتلد افرايم لسّنح

أيها الناس : إنه قد كان قبلي ولاة تجترون مودتهم بأن تدفعوا ظلمهم عنكم . ألا لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، من أطاع الله ، وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فان عصيت الله ، فلا طاعة لي عليكم

عمر بن عبد العزيز

لن يغلب الكذب إلا غلب عليه الصدق . القلب قد يتهم وإن صدق اللسان . الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، وتقريبهم مكسبة لقرين السوء ، فكن من الناس بين القرب والبعد ، فان خير الامور أوساطها .

أكثم بن صيفي

كتب على قبر روفائيل :
« كانت الطبيعة تخشى وهو حي أن يفوقها ، فلما مات خشيت من بعده أن تموت »

⁂

إذا أنت حملت الخئون أمانة   فانك قد أسندتها شر مسند
وجدت خئون القوم كالصل يتقى   وما خلت عم الجار إلا بمعهد
ولاتظهرن ود امرىء قبل خبره   وبعد بلاء المرء فاذمم أو احمد
ولا تتبعن الرأي منه تقصه   ولكن برأي المرء ذي اللب فاقتد

عبيد بن الأبرص

أو كلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ، ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ؟

قرآن كريم

عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون.

قرآن كريم

الجمعية والحكومة شيئان مختلفان في الحقيقة ، ولكل منهما أصل بعينه ، . نشأت الجمعية بحكم حاجاتنا ، اما الحكومة فقد نشأت برذائلنا ، والجمعية كيفما كان حالها رحمة ونعمة. أما الحكومة ، حتى فى أقوم مظاهرها ، فشر لا بد منه.

وليم جدوين

---

(١) كلمات طبعت على غلافات أعداد المقتطف سنة ١٩٤٥

الاديان البدائيـــة

عند الاستراليين

لعلَّ سكان استراليا المتخلفين أكثر الأجناس البشرية فقارة . فما فتئت حالتهم الاقتصادية منخفضة انخفاضاً كبيراً ، وما برحوا يأبون تربية الماشية أو قطعان الأغنام أو فلاحة الأرض

الرجال منهم يقنصون الكنغر والنعام والحيوانات المتوحشة ويتوسلون ببعض المهارة والذكاء الى قنصها . أما النساء فهنَّ يتصيَّدنَ الحيوانات الصغيرة كنحل العسل والسحالي مثلاً ، ويجمعنَ الخضروات النامية من الحقول والبراري كيفما اتفق . ورغم أن الشتاء يكون قارصاً عادةً وأن لياليه تكون مصحوبة بصقيع ، فانهم لم يتعلموا بعد كيف تُصنع الملابس ليتوقوا بها الزمهرير ، وهم لذلك يرحبون بأي لباس يمنحهم إياه البيض . أما الأكواخ التي يأوون اليها فهي فطرية الى أقصى حدّ ، وتستخدم لغرضٍ واحدٍ وهو الالتجاء اليها للوقاية من الرياح الشديدة . ويستطيع الاستراليون المتخلفون في الحضارة أن يحصوا الأرقام الخمسة الأولى (أي من ١ الى ٥) بسهولة ولكنهم يعانون مشقة كبيرة في استيعاب ما بقي من الأرقام الحسابية . ورغم ذلك ، فقد استحدثوا لأنفسهم نظاماً معقداً من « الطواطم »⁽¹⁾ والأديان يسترشدون به في عقود الزواج وما شابه ذلك من شؤون الحياة .

ولعلَّ مما يثير الدهشة أن نعرف أن هؤلاء القوم لا يمارسون طقوس العبادة المألوفة التي نحسبها نحن ضرورية جدًّا ، فهم لا يردّدون صلوات أو دعاء ، أو يحاولون الاتصال بأي نوعٍ من الأرواح أو الآلهة أو الكائنات غير الملموسة أو غير المرئية . وليس لهم كهنة

---

(١) الطوطمية Totemism هي تقديس الحيوانات أو النباتات كما سنوضح ذلك فيما بعد . راجع البحث النفيس للاستاذ رشوان احمد صادق عن « الطوطمية » في عددي المقتطف اغسطس ونوفمبر ١٩٤٣

أو معابد حتى ليقال أحياناً ان أولئك الفطريين ينتمون الى العصور السابقة لنشوء الأديان. وعلى أي حالٍ يصحّ أن نقول ان الأديان تنتشر بينهم في صورة أخرى ، لأنهم يمارسون أموراً لها نظائرها وأشباهها في الأديان الراقية بين الأجناس التي تفوقها حضارة ورقيًّا .

في استراليا قبيلة تعرف باسم ارنتا Arunta لها عادات دينية نوجزها فيما يلي :

يمرّ الطفل من هذه القبيلة في أربعة أدوار ، وفي كلّ من هذه الأطوار يجوز في طقوس دينية متنوعة . ويحل موعد الطور الأول لدى بلوغ الطفل العاشرة أو الثانية عشرة من عمره أو نحوها ، لأن الاستراليين البدائيين لا يعرفون أعمارهم بالضبط لعدم تسجيلها وعدم استخدامهم أي تقويم يعرفون به الأيام والأشهر والسنين . في هذه السنّ ، يجتمع رجال القبيلة ونساؤها في منطقة متوسطة بالقرب من المخيم الرئيسي ، وينتقى الأطفال الذين بلغوا السن القانونية واحداً واحداً ، ويطوّح الرجال بهم في الهواء ، ثم يتلقونهم لدى سقوطهم بينما تشرع النساء في الرقص على شكل دائرة ، ويمددنَ أيديهنَّ ، ويصرخنَ صرخات مدويّات . ثم تدهن صدور الأطفال وظهورهم بالألوان الحمر والصفر ، ويحاطون في أثناء ذلك علماً بأن المراسم التي يجتازونها الآن إنما هي لترقيتهم الى طور الرجولة وانهم لا ينبغي عليهم مستقبلاً اللعب مع النساء أو الفتيات أو معاشرتهنَّ في مخيماتهنَّ ، وانه يجب عليهم الالتجاء من تلك اللحظة الى مخيمات الرجال، وأن يقلعوا عن مرافقة النساء في أثناء تجوالهنَّ للبحث عن الخضروات وقنص الحيوانات الصغيرة كالسحالي والفيران ، ويصحبوا الرجال عند خروجهم لصيد الحيوانات الكبيرة الوحشية . وبعد اتمام هذه الفريضة ، يتطلع الصبيان الى الوقت الذي فيه يكونون قد اضطلعوا بجميع الفرائض ، ويحقّ لهم أن يقفوا على أسرار القبيلة .

والطور الثاني وهو طور الختان ، تصحبه عادةً حفلات أوسع نطاقاً من سابقتها ، ويكون الطفل قد تقدّم في العمر قليلاً وبلغ نحو الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة . وقد شهد سائحان انجليزيان يدعى أحدهما سبنسر Spencer والآخر جلين Gillen إحدى هذه الحفلات الطقسية ووصفاها بالتفصيل فقالا إن الطفل الذي يؤدي هذه الفريضة يقبض عليه ثلاثة شبان يصرخون صراخاً عالياً ، ويحملونه الى الموضع الذي تجري فيه المراسم ، ويكون معدًّا إعداداً دقيقاً ، بعيداً عن مرأى النساء والأطفال . والغرض الرئيسي من هذه العزلة

الجنسية الجزئيـة هو أن يطبعوا في ذهن الصبي انه على وشك الارتقاء الى مرتبة الرجال ، وان هذا حدٌّ فاصل بين حياته القديمة وحياته الجديدة التي يزمع الارتقاء اليها .

***

ومما يساعد على أن ينطبع في ذهن الصبي ، بصورةٍ قويةٍ ، شعورٌ عميق بضرورة السير وفقاً لنظم القبيلة واحترام فائق للمكانة السامية التي يتمتع بهـا الرجال الذين يفوقونه سنًّا والذين يعرفون جميع الشعائر الغامضة ويلمّون بها — مما يساعد على ذلك ، جهل الصبيان الكلي بما خبّىء لهم ، وشعور الواحد منهم بأن شيئاً غير عادي سـيقع له — وهو شيءٌ ذو طبيعة غامضة .

وفي اليوم الرابع ، حُمل الصبي إلى مكانٍ معينٍ معدٍّ له بالقرب من مكان المراسم الخاص ووضع تحت رقابة شديدة . وظلَّ في الأيام الأربعـة التي تلت ذلك بمعزل تام عن الناس ، باستثناء بعض فترات معينة كان يؤتى به فيها ليشاهد للمرة الأولى في حيـاته أنواعاً مهيبة من الطقوس تصوّر له الحيوانات الطوطمية ، وأسلاف القبيلة على الصورة التي يُظنُّ أنهم ظهروا فيها وتصرّفوا بها في حياتهم . ويستعينون على تصوير ذلك بالرقص والغناء والتمثيل والايماء . ومن صبـاح اليوم التاسع حتى مسائه ، زادت الطقوس وتكررت ، وأصبحت مثيرة جدًّا . وفي أثناء الليل الذي أعقبه ، كان الصبيّ يستمع ووجهـه ملثم إلى غناء أغنية « النـار » . ولدى انبلاج فجر اليوم التالي ، دهنوا جسمه بالألوان ثانيـةً ، وجعلوه يشاهد بعض الطقوس ويصغي إلى صرخات وأغانٍ طوال النهار . وبعد الغسق أوقدت نار كبيرة ، وزمجر رجال القبيلة كالثيران ، ودوَّت صرخاتهم تشقّ عنان السماء وتصمّ الآذان

ويحسب الأطفال والنساء أن هذه الأصوات صادرة عن روحٍ هائل جاء ليخطف الصبي ويهرب به في الغابة . وفي أثناء ذلك أجريت عملية مؤلمة للصبي بوساطة مدية صغيرة من حجر الصـوّان ، وهُـنّىء عقب ذلك لأنه لم يصرخ ، ثم أُطلع على بعض الأسرار الرمزية التي يُـعتقد أنها تعجّـل ببرئه من جراحه ، وهي أسرار ينبغي عليه أن يحرص عليهـا ، ولا ينساها لئلاَّ تنزل به وبأفراد عائلته عقوبة الموت .

ولمّـا انتُـهي من إجراء هـذه الفريضة ، استبقي الصبي تحت إشراف دقيق ، ومنع

وقتاً كافياً يتيح للجرح أن يبرأ ، ويتفاوت بين خمسة أسابيع وستة . وكان عليه بعد ذلك أن يؤدي الفريضة الثالثة التي تنتهي بعملية مؤلمة أخرى يطلق عليها « التشريط » Sub-Incision ، ويصحب هذه الفريضة كذلك شعائر دينية كثيرة الزخرف تكشف للصبيّ عن الحِكَم والتقاليد السرية المقدسة للقبيلة . أما الفتيات فإنهنّ يجزنَ في طور مماثل نوعاً ما ، غير أنه أبسط منه . والغرض من هذا تأكيد النموّ الجسدي للفتاة وإطلاعها على حِكَم القبيلة وتقاليدها السريّة ، لأنها تكون قد ارتقت إلى مرتبة المرأة المكتملة النضوج .

***

وبعد بضع سنوات من إجراء الفريضة الثالثة — ويكون الصبيّ قد شبَّ وتخطَّى منتصف العقد الثالث من عمره (من ٢٥ — ٣٠ سنة) يؤدي الفريضة الأخيرة وهي أغنى الفرائض بالزخرف والزينة ، ويطلقون عليها اسم انجورا Engwura أي « النار » لأنها تنتهي بأن يُحمل الشاب على النوم مدة أربع دقائق أو خمس على فروع خضر من فروع الشجر موضوعة فوق جمرٍ ساخن متوهج . وتستغرق هذه المراسم شهوراً . ويقول السائحان البريطانيان وقد أسلفنا الإشارة إليهما إنها استغرقت من منتصف شهر سبتمبر إلى منتصف يناير عن العام التالي . وفي هذه الفترة يجتمع الرجال والنساء من جميع أجزاء القبيلة ومن القبائل النائية ، وتجري كل يوم مراسم مختلفة يتفاوت عددها من اثنين إلى ستة تصحبها زخارف وزينات كثيرة . ويجتمع كبار رجال القبيلة في هيئة مجلس أو مؤتمر ، ويكرّرون حِكَم القبيلة وتقاليدها ويناقشونها حتى تطابع ولا تُنسى ، ويكون ذلك على مسمع من الشبان . ثم يُخرج كبار رجال القبيلة الأشياء والموادّ المقدسة ويفحصونها . وبعد ما يمرّ الشاب في هذا الطور يقال إنه أصبح عضواً كاملاً في القبيلة واقفاً على دقائقها . ويقول الوطنيون أنفسهم إن هذه المراسم لها تأثير كبير في تقوية الذين يمارسونها . فهي تغرس فيهم الشجاعة والحكمة، وتجعل الرجال لطفاء في معاملتهم، مُعرِضين عن الشجار والقتال . وبدهي أن الهدف الرئيسي لهذه الفريضة هو : أولاً : وضع الشبان تحت إشراف كبار السن وقيادتهم حتى يصدعوا لأوامرهم . ثانياً : تدريبهم على ضبط النفس ومواجهة الصعاب .

ثالثاً : إطلاع الأحداث الذين بلغوا سن البلوغ على الأسرار المقدسة للقبيلة ، وهي الخاصة بالأشياء المقدسة و « الطوطم » الذي ترتبط القبيلة به .

وينتمي كل مواطن في استراليا الى « طوطم » أي الى حيوان أو نبات ، أي ان المواطن أو المواطنة مرتبطة بطريقة غامضة بنبات معين أو بحيوان معين . والحق ان الفطريين لا يعرفون بالضبط نوع هذه العلاقة بينهم وبين النبات أو الحيوان ، وهم — لأنهم جلفٌ متخلفون — لا يشعرون كما يشعر المتمدينون بحاجتهم الى تفسير كل شيء تفسيراً منطقيًّا يقبله العقل . فهم يقولون عن هذا الرجل مثلاً — ويعتقدون ذلك — إنه « كنغر » ، أو « نعامة » أو انه ليس « بسحلية » ... الخ . وهذا في عرفهم هو ختام الأمر كله ، ولا مدعاة للاستطراد . وتختلف التفسيرات — إذا أبديت — اختلافاً بيّناً بين القبائل الاسترالية المختلفة وبين الأجناس البدائية الأخرى في جميع أنحاء العالم . فتعتقد قبيلة الأرنتا Arunta مثلاً ان في كل فردٍ من أفرادها روحاً تناسخت ، إما عن أحد أسلافه من نفس « الطوطم » مباشرة ، أو من روح حيوان « الطوطم » ذاته . بمعنى أن الروح الكائنة في أي رجلٍ إما أن تكون روح أبيه أو جده أو سواهما ممن كانوا ينتمون الى « الطوطم » الذي يدين به ، أو أن تكون روح الحيوان الطوطميّ .

***

ولمّا كان المرء مرتبطاً بعلاقة غامضة مع « طوطمه » أو حيوانه ، وجب ألاَّ يأكل هذا الحيوان إلاَّ في حالات نادرة تقتضيها الشعائر الدينية . وهذه الوحدة أو العلاقة تمدُّ المرء بالقوة التي بها يستطيع أن يزيد انتاج النباتات أو الحيوانات الطوطمية لمصلحة أفراد الطواطم الأخرى . ويستدعي تحقيق هذه الغاية مباشرة بعض الطقوس الطوطمية . وتلجأ قبيلة الأرنتا الى أكل الطعام الطوطميّ في حفلات عامة يشترك فيها جميع أفراد القبيلة كنوعٍ من المشاركة وقطع العهد للتعاون والتضافر معاً ، وهذا لا يمكن تحقيقه بالوسائل البشرية العادية (١) .

وديع فلسطين

---

[1] عولنا في كتابة هذا المقال على كتاب W. K. Wright's A Student's Philosophy of Religion وقد ألقيت هذه المحاضرة في رابطة الادباء بالقاهرة

الهون : Huns

(١) يظن أن لفظ (hun) من الكلمة الصينية هيو نجنو (Hiongnu) وتدل على أمة تذكر المدونات التاريخية الصينية أنها كونت في القرن الثالث قبل الميلاد في أواسط آسيا عاهلية قوية ، امتدت من سور الصين العظيم الى بحر قزوين.

(٢) عرف الهون في اوربا فى القرن الرابع . ويبدأ تاريخهم فيها سنة ٣٧٢ ميلادية ، بعد أن عبروا نهر الفولجا (Volga) حوالي سنة ٣٥٠ ، وهزموا قبائل الالاني (Alanni) هزيمة فاصلة حالفوهم بعدها وغلبوا القوط . فكان من أثر ذلك أن تفرق القوط في أطراف العاهلية الرومانية ، حوالي سنة ٣٧٥ . ثم هاجموا بلاد الغال ، ومعهم غيرهم من القبائل التى أخضعوها بأمرة قائدهم اتيلا (Attila) بعد ان اجتاحوا أكثر ممالك أوربا ، واضطروا الرومان أن يدفعوا لهم اتاوة . ثم هزموا في موقعة شالون على المرن (Shâlon-Sur-Marne) سنة ٤٥١ . أما نهايتهم فلا تعرف على التحقيق. والظاهر أنهم اندمجوا في الغزاة الذين غزوا البقاع التى استعمرها الهون في أوربا .

(٣) يقول المؤرخون انه اذا صح أن الهون هم الامة التى عرفت في الصين باسم « هيونجنو » أو « هونجنو » ، وهم الذين سجل أعمالهم التاريخ الصينى ، فان ذلك يجلو كثيراً من دقائق تاريخهم في خلال قرون عدة ، قبل بدء التاريخ المسيحي ، وبذلك تكون معرفتنا بهم أكمل من معرفتنا تاريخ بلاد الغال وبريطانيا قبل الفتح الروماني . أما اذا لم يصح ذلك ، فان تاريخهم يصبح شديد الغموض .

(٤) ووصف المؤرخون الهون فقالوا : انهم كانوا متوحشين لا يعرفون الملاحة ، سمر البشرة ، سود العيون غائروها ، عراض الاكتاف ، فطس الانوف ، لا تنبت لهم لحى .

تراجم مشاهير

علماء الطبيعة والنبات

١ — تِشِرْش (Tschirch, Alexander.,) : ولد في جُبِن في ١٧ اكتوبر سنة ١٨٥٦ وكان أستاذاً للأقرباذين في بِرْن. وأشهر مؤلفاته هي «التشريح التطبيقي للنباتات» (١٨٨٩) و «صور لتعليم فيزيولوجية النباتات» و «الراتينجات ومصادرها» (١٩٠٠) و «كيمياء وبيولوجية افرازات الليكنات النباتية» (١٩٠٨).

٢ — درون (Darwin, Charles.,) : ولد في شروزبري في ١٢ فبراير ١٨٠٩ ومات في دوْن (كِنْت) في ١٩ ابريل ١٨٨٢، عالم بالطبيعة، انكليزي شهير مؤسس نظرية النشوء «الدرونية». وأشهر مؤلفاته هي «جريدة الأبحاث» (١٨٣٩) و «أصل الأنواع» (١٨٥٩) و «شتى الحيل التي تخصب بها السحلبيات بواسطة الحشرات» (١٨٦٢) و «حركات النباتات» المتسلقة وطبائعها» (١٨٦٥) و «تنوُّع الحيوانات والنباتات بتأثير الدجونة» (١٨٦٨) و «النباتات الحشرية» (١٨٧٥) و «تأثيرات الاخصاب الذاتي والمتبادل في عالم النبات» (١٨٧٦) و «أشكال الأزهار المختلفة في نباتات النوع الواحد» (١٨٧٧) و «قوة الحركات في النباتات» (١٨٨٠)

٣ — شِفِنْدِنَر (Schwendener, Simon.,) : ولد في بُكْس (سويسرة) في ١٠ فبراير ١٨٢٩ وكان أستاذاً للفيزيولوجية النباتية في برلين من ١٨٧٨ لغاية ١٩١٠ وبحث قوانين وضع الأوراق وتوزيع الحزم الوعائية، وبِنْيَة الليكنات حتى أثبت أن هذه البنية إنما هي تكافل بين الفُطْرة الجِرَابية والألجا السفلي. وأشهر مؤلفاته «أبحاث في ثالوس الليكنات» (١٨٦٠ — ٦٨) و «الأصل الآلي في بِنْيَة النباتات ذوات الفلقة الواحدة» (١٨٧٤) والنظرية الآلية لوضع الاوراق (١٨٧٨) و «المجهار» (١٨٨٧).

٤ — شلَيْدِن (Schleiden, Math. Jak.) : ولد في همبرج في ١٥ ابريل ١٨٠٤

ومات في فرنكفورت (ماين) في ٢٣ يونيه ١٨٨١ كان أستاذ النبات في يِنَاودُرْپات استكشف في ١٨٣٨ الخلية النباتية ووضع في ١٨٤٢ علم النبات بأجمعه على أساس حديث محكم وبعدئذٍ اشتهر في تبسيط العلوم الطبيعية . وأهم مؤلفاته « محاضرات في نشوء النبات » (١٨٣٨) و « أصول علم النبات » (١٨٤٢) و « النبات وحياته » (١٨٤٨) و « الوردة » (١٨٧٣) .

٥ — كندول اوغستان (Candolle, Augustin Pyrame De;) والد الفونس كاندول: ولد في جنيف في ٤ فبراير ١٧٧٨ ومات بها في ٩ سبتمبر ١٨٤١ اشتهر بعلم النبات الترتيبي والمورفولوجي وتولى التدريس في باريس ومنبليه وجنيف وخلف جوسيو في البحث فزاد عدد الفصائل الطبيعية من ١٠٠ الى ١٦١ بحث منها أكثر من ١٠٠ بنفسه . وأشهر مؤلفاته « النظرية الابتدائية لعلم النبات » (١٨١٣) و « مبحث الأعضاء النباتية » (١٨٢٧) و « الفيزيولوجية النباتية » (١٨٣٢)

٦ — كندول الفونس (Candolle, Alfonse De;) : ولد في باريس في ٢٨ اكتوبر ١٨٠٦ ومات في جنيف في ٤ ابريل ١٨٩٣ كان أستاذ نبات بالجامعة اشتهر بالجغرافية النباتية . وأشهر مؤلفاته هي « الجغرافية النباتية المعلَّلة » (١٨٥٥) و « أصل النباتات المزروعة » (١٨٨٣)

٧ — لامارك (Lamarck, Jean.,) : ولد في بَرِنتان باسوم، فرنسا في ١ أغسطس ١٧٤٤ ومات في باريس ١٨ ديسمبر ١٨٢٩ عالم بالطبيعة شهير . كرَّس حياته لعلم النبات بعد أن تعلَّم الطب والعلوم الطبيعية ونشر « شرح نباتات فرنسا » في ١٧٧٣ ثم أصبح في ١٧٩٢ أستاذ علم المواليد الثلاثة (التاريخ الطبيعي) بحديقة النباتات . وقد كفَّ بصره في غضون السبع عشرة سنة الأخيرة من حياته . وأشهر مؤلفاته « التاريخ الطبيعي للحيوانات اللافقَارِيَّة » (١٨١٥ — ٢٢) و « الفلسفة الحيوانية » (١٨٠٩) وقد كان أحد المؤسسين لمذهب النشوء الأحيائيّ لكنه اختلف عن النظرية الحديثة (الدرونية) وعلى الأخص في وجهة نظره للقسط الذي يجريه « الاستعداد الفِطْري » والكَدّ الناشط لمتعضّي .

٨ — مول (Mohl, Hugo Von..) : ولد في ستتجرت بفرتمبرج في ٨ ابريل ١٨٠٨ ومات في تُبِنجن في ١ ابريل ١٨٧٢ وكان أستاذ الفيزيولوجية في برن ١٨٣٢ والنبات في تبنجن من ١٨٣٥ . وقد كان حجة في التشريح النباتي والفيزيولوجية وأشهر مؤلفاته « مجموعة رسائل

تمهيدية في علم النبات» (١٩٤٥) و«فن الكتابة الجهارية» (١٨٤٦) و« أصول التشريح والفيزيولوجية للخلية النباتية » (١٨٥١)

٩ — نِيْجلي (Nägeli, Karl Wilhelm von.,) : ولد في كِلْخبرج ٢٧ مارس ١٨١٧ ومات في مونخ ١٠ مايو ١٨٩١ عالم نبات الماني شهير كان أستاذاً بميونخ من ١٨٥٨ وهو مشتهر بأبحاثه في فيزيولوجية النباتات وتطوراتها . وأشهر مؤلف له هو « النظرية الآلية الفيزيولوجية لمذهب التسلسل » (١٨٨٤)

١٠ — هابرلنت (Haberlandt, Gottlieb.,) : ولد في التنبرج الهنغارية ٢٨ نوفمبر ١٨٥٤. عالم نبات نمساوي كان أستاذاً لقسم الفيزيولوجية النباتية بجامعة برلين (١٩١٠ — ٢٣). نشر من ١٩١٦ فصاعداً محاضرات عامة في علم النبات ثم رحل الى الهند الشرقية الهولندية (جاوة) لدراسة النباتات الاستوائية (راجع مؤلفه رحلة نباتية استوائية ١٨٩٣ طبعة ثالثة ١٩٢٦) وله كثير من المؤلفات المهمة في الفيزيولوجية النباتية منها « تنظيم وقاية الجنين النباتي » (١٨٧٧) و « أبحاث التشريح الفيزيولوجي لأوراق النبات الاستوائي » (١٨٩٢ — ٩٥) و « تشريح النبات الفيزيولوجي » (١٨٩٦) و « أعضاء الحسّ في عالم النبات » (١٩٠٦) وهو آخر مؤلف له بحث فيه على الأخص حساسية النباتات للمنبهات الخارجية .

١١ — هنشتين (Hanstein, Johannes.,) : ولد في بتسدام في ١٥ مايو ١٨٢٢ ومات في بُن في ٧ اغسطس ١٨٨٠ كان أستاذ النبات في بُن منذ ١٨٦٥ وقد رقى علم نُسُج النباتات .

١٢ — هوفميستر (Hofmeister, Wilhelm.,) : ولد في ليبزج في ١٨ مايو ١٨٢٤ ومات في ١٢ يناير ١٨٧٧ في لندناو بجوار ليبزج وكان أستاذ النبات في هيدلبرج وتبنجن، رقى مبحث الخلية ووضحه بتطبيقه على سير تكوين النباتات . وقد أثبت علاقة القرابة بين النباتات ذوات الأزهار والنباتات عديمة الأزهار وأشهر مؤلفاته « الكلام على سير الاخصاب الشقي في النباتات الزهرية » (١٨٤٧) و « تكوين أجنّة النباتات الزهرية » (١٨٤٩) و « أبحاث مقارنة أجنة النباتات عديمة الأزهار الراقية ونشوئها وتكوين ثمارها وتكوين بزور النباتات الصنوبرية » (١٨١٥) و « المورفولوجية العامة للنباتات المزروعة » (١٨٦٧ — ٦٨) .

محمود مصطفى الدمياطي

مكتبة المقتطف

بعث الشعر الجاهلي

نقد كتاب من تأليف الاستاذ مهدي البصير : بغداد .

جاءني بريد العراق فطالعني من بينه ذلك الكتاب الطريف « بعث الشعر الجاهلي » تأليف الأستاذ الدكتور مهدي البصير من خيرة أدباء بغداد ، ومن زعماء الكتابة في العراق الشقيق ، وقد كان زميلاً لأديبنا المصري الكبير الدكتور طه حسين بك ، ونال مثله شهادة الدكتوراه من السوربون ، وقصة ذلك أن كتاب الدكتور طه « في الأدب الجاهلي » وقع بيد الدكتور البصير فقرأه — كما يقول — أولاً قراءة سطحية سريعة ، ثم عاد فدرسه بتدبر وإمعان ، فخالف الدكتور طه في كثير مما ذهب إليه بشأن الشعر الجاهلي وإنكاره ، فهبَّ لرد آرائه ونقض مزاعمه ، وكان من ذلك كتاب سماه أولاً « الأدب العربي قبل الاسلام » ثم تقدَّم به على شكل أطروحة أدبية الى السوربون ليحصل على درجتها العلمية وشهادتها الأدبية ، ولأن المستشرقين مهما قيل في مدحهم والإشادة بأثرهم وفائدتهم للعرب والعربية لا يخرجون عن كونهم أصحاب أطماع ومآرب ، تنفع قبل كل شيء أشخاصهم وأوطانهم ، عاكسوا الدكتور البصير ونالوا من قيمة أطروحته ، ووضعوا في سبيله العراقيل والعقبات ، خصوصاً وأن البصير كان يتبع عقيدة سياسية تخالف نوايا الفرنسيين الاستعمارية وتحارب جشعهم المستأسد وتدخلهم الوضيع في شئون العرب والشرقيين ، فما كان من أديبنا العراقي النابه إلاَّ أن تحدَّى تلك الطائفة ، وأرغمهم على الاعتراف بمكانته وعصاميته وعبقريته وذلك باجتهاده في تعلم الفرنسية والكتابة بها ، حتى غدا كفرد من أبنائها ، ووضع بها أطروحة قدَّمها أيضاً الى السوربون ، فلم يجد رجالها بدًّا من إجابته إلى ما أراد ، ورجع

البصير إلى بلاده وهو يحمل وثيقة انتصار الشرق أمام الغرب ومنافسة أبناء يعرب لأبناء أوربا ! ...

أما الأطروحة العربية الأولى فقد قام الاستاذ البصير بالقائها في فترات مختلفة على شكل محاضرات بالاذاعة اللاسلكية العراقية ، بدون أن يرسم لها خطة أو يحدّد لالقائها مواعيد ، وإنما كان يعد كل محاضرة منها عند طلب إلقائها . ولما رآها في النهاية قد تسلسلت واشتبهت وارتبطت في موضوعها وغرضها ، أقبل على بعضها بالتهذيب ، ثم انتهى الى نشرها في كتاب مستقل ، هو الذي أتحدَّث عنه في هذه الكلمة ، وسماه « بعث الشعر الجاهلي » ...

ومن اسم الكتاب تستطيع أن تفهم أن موضوعه هو البحث في الشعر الجاهلي ، — خصوصاً المعلقات السبع — وإثبات حقيقة هذا الشعر ، ووجود قائليه في الحياة يوم قيل ، والاشادة بما في هذا الشعر من خصائص ومميزات وروائع من حق العربية أن تفخر بها وتزهو . .

وأنت إذ تتناول هذا السفر يعجبك منه طبع متقن وتبويب منظم وتفصيل موضح ، مما يدلك على النهضة الكبرى التي بلغتها الطباعة العراقية في هذا العصر ، فاذا قلت لك إن كتاب الشعر الجاهلي في مظهره ومخبره ، وصورته ومعناه كأحسن ما نشاهد ونقرأ من الكتب المصرية فصدقني لأنني لا أبعد لحظتئذٍ عن الحقيقة والواقع ! ..

ومع إعجابي بالمجهود الطيب الذي بذله الدكتور البصير في كتابه ألاحظ عليه انه مال الى الايجاز الذي أراه مبالغاً فيه في بعض المواقف ، وما كان لأديب يتناول البحث عن الشعر الجاهلي وقيمته وحقيقته في كتاب سائر أن يختصر القول في ذلك أو يجمله ، بل إن المقام خليق بالاطناب والاسهاب — كما يعبر البلاغيون — خصوصاً وأن هذا الموضوع — موضوع الشعر الجاهلي — قد كثرت الأقاويل فيه والترهات حوله ، وتراكمت الشبهات والظنون عليه ، فحقّ على اديب ذي كفايات ومميزات كالبصير أن يبسط لنا القول في هذا الموضوع بسطاً ويفصله تفصيلاً ، حتى يحق الحق ويبطل الباطل ويفند المزاعم ويزيل الشكوك . وقد قدَّمت أن الدكتور البصير تناول في كتابه الرد على الدكتور طه حسين ، فكان المنتظر أن يكون حجم الكتاب ضخماً كبيراً ، ولو على الأقل مثل كتاب المرحوم مصطفى صادق الرافعي « تحت

راية القرآن » أو كتاب الأستاذ محمد احمد الغمراوي « النقد التحليلي » أو كتاب الأستاذ محمد احمد عرفه ، أو كتاب الأستاذ محمد فريد وجدي . . فهذه الكتب الاربعة قد وضعت للرد على الدكتور طه ، وبعضها قد اختصّ بتفنيد رأي خاص في مسألة خاصة ، وبعضها عمم الرد على الكتاب وتناول ما تناول ببسط وإفاضة وإيضاح ، ولعلّ الدكتور البصير يطلع على ما ذكرنا ما كتب — أو لعله اطلع — فيقدم على تنقيح كتابه والزيادة فيه ليطبعه طبعة جديدة تذيع وتروج ! . .

والكتاب بعد هذا يتكوّن من ثماني محاضرات ، تكلم الدكتور في الأولى عن امرىء القيس وتاريخه ومعلقته ، وأثبت وجود الشاعر التاريخي وصحة نسبة شعره إليه ، فكان مع ايجازه موفقاً ، وجادل الدكتور طه حسين بالتي هي أحسن ، وحاوره الحوار الجميل ، حتى انتهى إلى نقض آرائه وإثبات الحقيقة ، ولكن أدهشني قول الدكتور البصير في (ص٢٣) عن « قفا نبك » : إنها تمتاز برغم بداوتها بقلة الغريب وسهولة التعبير » وفي ص ٢٤ يقول : « وهي لا تضطرنا في كثير من الأحيان لاستشارة المعاجم اللغوية »!!

أرجو أن يسمح لي الدكتور بمخالفته في هذا الرأي ، فإننا إذا اتخذنا القارىء المتوسط مقياساً لنا ، وهو ما يجب أن يكون ، رأينا أن قصيدة « قفا نبك » تحوي الكثير من الألفاظ اللغوية الغامضة التي تستعصى على ذلك القارىء المتوسط ، وإليك من القصيدة — مثلاً — هذه الكلمات : « ممرات ، ناقف ، ريا ، كورها المتحمل ، هداب ، الدمقسي المفتل ، جناك المعلل ، آليت حلفة ، أعشار قلب ، خبت ذي حقاف عقنقل ، بفودي رأسها ، هضيم الكشح ، ترائبها ، السجنجل ، المقاناة ، نصته ، أثيث كقنو النخلة المتعثكل ، مستشزرات ، العقاص ، كشح ، الجديل ، أساريع ظبي أو مساويك اسحل ، اسبكرت ، المعيل منجرد قيد الأوابد هيكل ، الكديد المركل ، خذروف ، أيطل ، إرخاء سرحان ، الكنهبل .. الخ»

ألا يرى الدكتور في هذه الكلمات التي ذكرتها — تمثيلاً لا استقصاءً — غرابة وتسامياً عن الأذهان المتوسطة ؟ ألاَ يحتاج القارىء الى استنباء المعاجم بشأن هذه الالفاظ ؟.. ان من أكبر الدلائل على كثرة الغريب في « قفا نبك » وحاجتنا الى المعاجم في فهمها هو قيام الكثير من أهل اللغة بوضع الشروح المتعددة المبسوطة في شروحها وتفسير كلماتها ، وان

القارىء لقصيدة « قفا نبك » لا يجد بها إلاَّ ما يقرب من عشرين بيتاً —مع أكثر تقدير— لا تحتاج ألفاظها الى شرح معاجم ، والباقي عسر الفهم غامض المعنى ! .

وفي ص (٢٥) أشار الدكتور الى ميزة لامرىء القيس وهي عنايتـه بضبط المواقع والأمكنة ، والراجح عندي أن هذه خلة شائعة عند العرب ، فما من شـاعر عربي أصيل في عربيته إلاَّ ويعنى بتحديد الاماكن سواء في شعره أم نثره ، وظني أن ذلك ناتج من تشابه الأماكن في جزيرتهم واتساع صحرائهم وعدم قيام المدن والدساكر التي تميز المواضع وتبين الأماكن ، ولذلك يعلم المتحدّث أن المكان الذي يقصده ويعينه في كلامه لن يُعرف إلاَّ إذا حدَّده بحدود ومعالم ! ..

وقد زعم الدكتور أن الشطرة الثانية من بيت امرىء القيس :

ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجباً من كورها المتحمل

جيء بها نزولاً عند ضرورة العروض والقافية فقط ، إذ لا غرابة في حمل كور مطيـة معقورة على غيرها ... ونرد على الأستاذ زعمه فنقول :

إن هـذه الحالة مما تستدعي العجب ، فامرؤ القيس قد أقبل في الصباح على مطيته وهي أقوى ما تكون ، ولـكنه نزل على إرادة الجمال والحب فعقر مطيته وشوى لحمها للعذارى ، وعند رجوعهنَّ تقسمنَ متاع مطيته ، فـكأنه قال : يا عجباً ، أغدو في الصباح ومعي ناقتي التي أعزها وأحتاج إليها ، ثم أؤوب وقد فقدتها وتقسمت العذارى كورها ؟ ! .

وفي المحاضرة الثانيـة تـكلم الدكتور عن زهير بن أبي سلمى وعن معلقتـه ، فنوَّه « بالواقعية » فيها وعدم تهويله في مدح أو وصف ، وعمق تفكيره وبحثه في حالة المجتمعات وما يلزم لسلامتها وتقدمها ، وتبشيره من أجل ذلك بالسلام ، وإكثاره من إرسال الأمثال السائرة والحـكم البليغة ، وإذا كنت قد خالفت الدكتور في ألفاظ « قفا نبك » من جهـة الوضوح والغرابة ، فإنه لا يسعني إلاَّ موافقته على قوله إن زهيراً كان دمث اللغـة سهل التعبير ، وفي الحق إنك لا تقرأ معلقة زهير كلها أو أكثرها إذا أردت الدقة في القول فتجد معاني الأبيات تنساق إلى ذهنك انسياقاً ، والألفاظ تخطر معانيها ببالك جلية بلا استئذان .

وفي ص ٣٥ أورد الدكتور لزهير هذا البيت :

تداركتما عبساً وذبيان بعد ما   تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وتوقعنا منه أن يشرح عبارة « ودقوا بينهم عطر منشم » فقد اضطربت في شرحها الأقوال ، ولكنا وجدناه يحيلنا على موضع لا نعرفه — لأنه لم يأتِ بعد — بقوله : « راجع البحث عن الأسلوب » ونذهب نفتش عن هذا الموضع الذي شرحت فيه هذه الجملة فلا نجده إلاَّ في (ص ٤٥) أي بعد عشر صفحات ، وأظن أن في ذلك إبهاماً على القارىء وبلبلة لذهنه .

***

ويقول الدكتور إن جملة « ودقوا بينهم عطر منشم » معنى زائد يتم المعنى المراد بما قبله ، ولكنني أحب أن أقول له : ألا يصح أن يكون ذلك من باب « الإيغال » وتمكين المعنى في ذهن السامع ، وذلك كقول الخنساء :

وإن صخراً لتأتم الهداة به   كأنه علمٌ في رأسه نار !

وقول المتنبي :

وما الدهر إلاَّ من رواة قصائدي   إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا ؟

ويذكر المؤلف قول زهير :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله   ولكنني عن علم ما في غدٍ عم

ويفسره بقوله : « يعلن الشاعر أنه يعرف ماضي الحياة وحاضرها لأنه رآها ، ولكنه يجهل مستقبلها ، أي أنه لا يؤمن بالبعث ! .. » . ونحن نسائله : كيف استنتجت عدم ايمان الشاعر بالبعث ؟ . . أعدم معرفته للمستقبل يشعر بانكاره للبعث ؟ . ألاَ يصح أن يكون المعنى : إنني أجهل ما يأتيني الله به في قابل أيامي ، أيكون ذلك خيراً أم شرًّا ، لأنني لم أعط علم الغيب ... فيكون البيت دليلاً على الايمان لا على الكفران !؟ . .

وفي المحاضرة الثالثة تكلم الدكتور عن معلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة اليشكري ، فأجاد القول وأحسن التحليل ، إلا انه يقول عن غلو ابن كلثوم في الفخر إنه « صورة صادقة من أنفة البدوي وإبائه ونخوته » .. ولست أرى رأيه ، بل إن السبب في هذا الغلوّ هو أن ابن كلثوم في موقف خصام ومنافسة ومفاخرة ، فهو يستعمل لسانه

وفصاحته في دفع التهم عنه وتعداد المفاخر — ولو كانت كاذبة — لشخصه ، وإلاَّ فأكثر فخر ابن كلثوم لا يكاد يعقل ! ...

وأنا مع الدكتور إذ يقول في (ص ٥٨) عن مطولة ابن كلثوم « فلغتها موسيقية جذَّابة » . إذ أنها موسيقية في بحرها ، فبعض البحور أقرب الى النفس والحس وأسهل على اللسان وألصق بالشعور من بعضها الآخر ، وكذلك لبعض الألفاظ نغم ورنين لا يوجد في بعضها الآخر ، ومن أراد أن يعرف ذلك فليقرأ على التوالي معلقتي ابن كلثوم وامرىء القيس ليفهم ما ذكرناه ! .

ويقول الدكتور (ص ٥٩) : « يظن زميلنا الأستاذ طه حسين أن سلاسة اللفظ في معلقة ابن كلثوم دليل على افتعالها بعد الاسلام ! ولكنه يخطىء في هذا بعض الشيء ، فلغة القرآن الكريم لا تقل سهولة ودماثة عن لغة هذه المعلقة ولم يفصل بينهما قرن » .. ولست أدري قيمة الحجة التي احتجَّ بها الدكتور البصير هنا ، فما أثر الزمن في السهولة والغموض؟.

***

ألاَ يصح أن يجتمع شاعران أو كاتبان في زمن واحد وبيئة واحدة ، ومع ذلك يأتي نتاج أحدهما غريباً غامضاً عسراً ، والآخر سهلاً ظاهراً ؟ . لقد أورد المؤلف نفسه أمثلة لذلك في (ص ٦٢) من كتابه وحسبه بعد ذلك أن يقارن مثلاً بين أدب مصطفى صادق الرافعي ، وأدب زكي مبارك ، وهما من أبناء عصر واحد وبينهما بون شاسع ! ! . .

وفي المحاضرة تكلم الدكتور عن عنترة العبسي وعن تاريخه وقصته ، فقال إن كثيراً من الأساطير دخلتها ، خصوصاً في زمن العزيز على يد أديب مصري يدعى يوسف ، وقال ان كثيراً من الشعر المنسوب لعنترة في ديوانه دخيل غير صحيح النسبة ، وزعم أن عنترة كان غير مخلص في حبه ، ولكنه أجاد في فخره وتحدثه عن شجاعته وكرمه ، وتحتوي معلقته على شذرات جميلة تكفي بحيويتها وجودة ألفاظها أن ترفع عنترة إلى مصاف أكابر الشعراء ! ! . .

ولم يتكلم الدكتور عن معلقة طرفة ابن العبد ومعلقة لبيد ابن ربيعة ، وقد ذكر ضمن مراجعه كتاب « القصائد العشر » . . أفما كان يجدر به أن يتحدَّث عن القصائد السبع

المتيقن أنها معلقات بله أن يتحدث عن القصائد الثلاث المكملة للعشر التي اختلف في أنها من المعلقات أو ليست منها ؟ . .

وفي المحاضرة الخامسة تكلم عن أطروحته الأدبية العربية والفرنسية وقد أشرت إليها في أول الحديث ، ثم حاول إثبات الشعر الجاهلي فرافقه التوفيق في أكثر خطواته ، وجرح الرواة الذين قيل عنهم إنهم أنشئوا المعلقات ، مدللاً من شعرهم وتاريخهم على أنهم من الخسة بحيث لا يستطيعون النهوض بمثل هذا العمل الجليل ! . .

وفي المحاضرتين السادسة والسابعة تحدَّث عن قيمة الشعر الجاهلي من النواحي الأدبية والاجتماعية والفنية ، فأشار إلى الطبيعة في شعر الجاهلية وإلى اللهو ، وأثر المرأة والهيام بها ثم برَّر فخر ابن كلثوم ، واستحسن فخر عنترة ، وأعجب بفخر طرفة ، وأشار إلى ما في المعلقات من نواحٍ فلسفية ولمح الى خصائصها الفنية ، وعاد في النهاية الى ذكر الشبه بين المعلقات والقرآن ، وانه لمن الجرأة أن نعقد مقارنة بين كلام الله العزيز الحكيم وبين كلام البشر مهما كان ! .

وفي المحاضرة الثامنة تحدَّث عن الشعر الفني كما يتصوره ، وعنده « أن القصيدة الفنية وحدة بيانية تظهر فيها قدرة الشاعر على الابتكار وتراعى بها وحدة الموضوع وجودة ترتيب الفكر ، والتئام العروض والموضوع الى حدٍّ ما ، وحرية القافية . . . »

وذكر لنا الدكتور أمثلة من الشعر الفني القديم ، كما أسمعنا شيئاً من شعره الفني الحديث ، فأعجبنا بشعره كما أعجبنا بنثره ، ولكني أرى الرابطة بين هذا الموضوع وبين باقي فصول الكتاب واهية ضعيفة ، فما صلة الشعر الجاهلي بالشعر الفني كما يتصوره الكاتب ؟ ! .

وهناك جملة أخطاء املائية لا ملام على الدكتور فيها ، فقد علمت انه يملي ولا يكتب ، فالعتب في ذلك يتوجه الى كاتبه .

وكتاب « بعث الشعر الجاهلي » رغم ما ذكرت فتح جديد في الأدب العراقي ، وإن شئت قلت انه سفرٌ قيم في المكتبة العربية ، وإن حقًّا علينا أن نتوجه الى الدكتور مهدي البصير بأطيب الثناء وأجزل الشكران ، راجين أن يواصل جهاده بنشر آثاره والله ولي التوفيق.

احمد الشرباصي

خريج كلية اللغة العربية

فهرس

الجزء الثاني من المجلد الثامن بعد المائة

٨١ حكمة تموت وعلم يطويه التراب : سنوات في صحبة ا . فيشر : اسماعيل مظهر
٨٥ أساس القانون الدولي وطبيعته وأساليبه : صلاح الدين الشريف
٨٨ النهضة : بحث لغوي تاريخي
٨٩ التغذية في العهد الفرعوني : دكتور حسن كمال
١٠٣ منية النفس (قصيدة) : عدنان بك مردم
١٠٤ عواطف الحياة ووجوب الحرص عليها : دكتور ابراهيم ناجي
١٠٩ شجن (قصيدة) : محمد فهمي
١١٠ اسطورة تنصر الخليفة المعز لدين الله الفاطمي : عطية مصطفى مشرفة
١١٣ زلال الحمل : دكتور عبده رزق
١١٦ تجنب الامساك : فهمي عطا الله
١١٧ نشأة الطغيان وصلته بالتجارة : ابراهيم ابراهيم يوسف
١٢١ القنبلة الذرية والظواهر الروحية : احمد فهمي ابو الخير
١٢٧ حكم المقتطف
١٢٨ الاديان البدائية عند الاستراليين : وديع فلسطين
١٣٣ الهون : بحث لغوي تاريخي
١٣٤ تراجم مشاهير علماء الطبيعة والنبات : محمود مصطفى الدمياطي بك
١٣٧ مكتبة المقتطف * بعث الشعر الجاهلي : نقد احمد الشرباصي

لحق بالمقتطف

١ — ٦٧ الألوهية والفكر: بحث في العقائد المألوفة : وهو السلسلة الثانية من محاضرات « جيفورد » : ألفها وألقاها : آرثر جيمس آيرل أوف بلفور . ترجمها اسماعيل مظهر